الاتجاه الأخلاقي في النقد العربي القديم في ضوء الدراسات النقدية الحديثة

أ. م. د. محمود شلال حسين
الجامعة العراقية - كلية الآداب
قسم اللغة العربية

الملخص

كثرت في الآونة الأخيرة الدراسات النقدية العربية التي تتناول بالبحث والدراسة واقع التراث العربي القديم باعتماد المنهجية العلمية، الأمر الذي نتج عنه اختلاف في الأدوات المنهجية التي يُعالج بها التراث، فضلاً عن تباين المواقف النقدية منه ومن مفاهيمه وفي كيفية التعامل معه، وقد كشفت هذه الدراسات عن وجود اتجاهات عدة في النقد القديم منها:

الاتجاه اللغوي والاتجاه الفني والتاريخي والاخلاقي، لكن الدراسات الحديثة تباينت في رؤيتها لهذه الاتجاهات ولا سيما موقفها من الاتجاه الأخلاقي، فثمة دراسات رفضت فكرة احتكام الناقد القديم للمعيار الأخلاقي بناء على قراءتها لنصوص من التراث تؤيد فكرة الانفصال بين الاخلاق ومعايير النقد. وهناك دارسات أخرى وجدت أن النقد القديم لم يتخل يوما عن النقد الأخلاقي وأن الترويج لانفصال المعيار الاخلاقي في النقد القديم، إنما تسلل الى افهامنا من القراءة الجزئية لنصوص التراث، وبتر هذا النصوص عن السياق الذي قيلت فيه.

وهناك دراسات نقدية تبنت موقفا وسطا يرى أن النقد القديم قد ركن الى المقياس الفني وقدمه على المعايير الأخرى، لكنه سمح للمعيار الأخلاقي أن يأخذ دوره في الحكم فزاوج بين النظرة الفنية و النظرة الأخلاقية.

Abstract

Recently, many Arabic critical researches and studies were carried out with regard to the reality of Arab traditions with the employment of the scientific approach. Therefore, different mechanisms that deal with traditions were floated on the surface not to mention the appearance of contrastive criticism towards them, their concepts and means of dealing with them as well. Besides, these studies found out there were several approaches in the classic criticism including: the Linguistic, the artistic, the historical and ethical approaches. Yet, the modern studies had contrastive views towards these approaches especially towards the ethical approach. Moreover, some studies disapproved the idea of letting the classic critic adopt the ethical criterion in accordance with the reading of texts brought from traditions that uphold the idea of separating ethics from critical criterion. Furthermore, there are

other studies found out that the classic criticism did not leave ethical criticism behind and propagandizing for the separation of the ethical criterion in the classic criticism is described as sneaking to our thoughts within the partial readings of traditions and taking these texts from their contexts. It is worth mentioning that there are other critical studies adopted a moderate stance, it thinks that the classic criticism depending on the artistic criterion in comparison with the rest of criteria. However, it allowed the ethical criterion to be present in decision and it overlapped between the artistic and ethical visions.

❊ ❊ ❊

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد؛ فقد تنوَّع المكتوب في الاتجاه الأخلاقي في النقد القديم بين دراسات دقيقة التخصص أفردت له عنوانا خاصا، وبين دراسات تناولته ضمن قضايا النقد القديم واتجاهاته، وحرصت هذه الدارسات على تتبع تجليات هذا المعيار ورصد صوره وأمثلته في هذه الدراسات؛ لذلك لم يكن هدف هذا البحث إتمام ما أَتم، والاضافة الى الشافي الكافي، غير أن هذا البحث يبدأ من حيث انتهت هذه الدراسات فينظر في النتائج التي توصلت اليها بقراءتها لكتب التراث، وسيلحظ القارئ أن هذه الدراسات جاءت متلونة النتائج متضاربة الاستنتاجات والمشارب مختلفة في وجهاتها، فهي ثمرة لقراءات مختلفة : منها قراءات موضوعية علمية تستقصي الدليل، وترفد الحكم بالتعليل، ومنها قراءات ذوقية فردية يغلب عليها الانطباع؛ نتيجة للارتهان الى النظرات المسبقة، والاحكام السريعة، وثمة دراسات رفضت فكرة احتكام الناقد القديم للمعيار الأخلاقي، وأخرى وجدت أن النقد القديم لم يتخل عن الاتجاه الاخلاقي .

فانبثق هذا البحث ليبين موقف الدراسات النقدية من الاتجاه الاخلاقي في النقد القديم

، مثيرا أسئلة عدة منها: كيف نظرت الدراسات الحديثة لمعيار الاخلاق في النقد القديم؟ وهل احتكم الناقد القديم إلى الأخلاق في حكمه على النصوص من منظور الدارسات الحديثة ؟ وكيف قرأ الناقد المعاصر النصوص التراثية؟ فوضع العنوان (الاتجاه الاخلاقي في النقد العربي القديم في ضوء الدراسات النقدية الحديثة) للإيفاء بهذه الاسئلة وغيرها وبمنهج يسميه بعضهم (نقد النقد) أو قراءة نقدية أو قراءة ثانية ، وأيا كان اسمه فأنه نقد موضوعي بناء يحفظ لهذه الدارسات - مهما كانت نتائجها ومواقفها- أهميتها واثرها الفاعل في رفد الحقل النقدي العربي، فكان من الطبيعي أن نسلك خطة تلبي أهداف هذه الدراسة، فكان التمهيد عن تاريخ الاتجاه الاخلاقي منذ ممارساته الأولى وصولا إلى النقد الحديث، بينا فيه موقف الناقد القديم من المعيار الاخلاقي.

وبقراءة موقف الناقد الحديث من قضية الأخلاق وعلاقتها بالنقد القديم ، اتضح أن هناك ثلاثة مواقف وقفها الناقد الحديث من هذه القضية: موقف أول: يرى أن مقاييس النقد القديم كلها مقاييس فنية لا أثر فيها لأي مقياس غيرها، وهذا هو الاتجاه الفني الخالص ،وموقف ثان توفيقي شمولي: يرى أن المعيار الفني والأخلاقي تشاركا في تشكيل رؤية الناقد القديم للنصوص الأدبية، وهذا الاتجاه هو الاتجاه الشمولي (الفني والاخلاقي)، وموقف ثالث: يرجح كفة المعيار الاخلاقي في النقد القديم ؛ لكنه لا يلغي دور القضايا الفنية.

وانتظم كلَّ اتجاه من هذه الاتجاهات الثلاثة مبحثٌ منفصلٌ نسبيا عن صاحبيه، فكان المبحث الأول: الاتجاه الفني، والمبحث الثاني: الاتجاه الشمولي، والمبحث الثالث: الاتجاه الاخلاقي المستند إلى الاتجاه الفني، وهذه الاتجاهات لا تجترح حدودا صارمة بين اتجاه وآخر، وانما هي محاولة قامت باستقراء المنجز الحديث على وفق نظرته إلى التراث النقدي، ولم تكتف بالاستقراء والرصد، وإنما ناقشت بعض المواقف على نطاق ضيق؛ لأن ما كتب في هذا الاتجاه يصعب ملاحقته كله في بحث موجز لذلك يعدُّ انتخاب بعض النصوص للتدليل على اتجاه ما لا يعني إهمال النصوص الأخرى، وعدم أهميتها.

ومن ثم أن علاقة النقد بالأخلاق في عرف النقاد القدامى لم تكن مبسوطة في كتبهم أو من القضايا المركزية التي شغلت اهتمامهم بالقياس الى قضايا كثر الحديث عنها: كـ(قضية اللفظ والمعنى، القديم والحديث ، السرقات الشعرية، الموازنة بين الشعراء ، والفحولة ، والانتحال)، لكن من يقرأ التراث النقدي يظفر بنصوص مهمة عن قضية الاخلاق والنقد جاءت أغلبها في معرض دفاع النقاد عن بعض الشعراء ممن اتهموا بالزندقة والكفر، فضلا عن بيان بعضها الآخر موقف الناقد القديم من الصدق والكذب والمبالغة. وعملية ملاحقة هذه النصوص ووضعها في حيِّز واحد

ثم بيان رؤية الدراسات الحديثة منها أمر لم يكن سهلا، لولا توفيق الله تعالى وعونه .

التمهيد

تاريخ الاتجاه الأخلاقي

• **أولاً: الاتجاه الاخلاقي عند الغرب**

تاريخ الاتجاه الأخلاقي في النقد يتصل بنشأة الأدب وهي نشأة ترجع أصول الشعر إلى الطقوس الدينية واناشيدها ، إذ ارتبط الشعراء عند اليونان بإلهة الفنون (Muses) فكان الشعر وثيق الصلة بالطقوس الدينية والاحتفالات العامة، وكانت نظرة المجتمعات القديمة للشاعر نظرة عظيمة[١] ، تولد عن هذه النظرة اتجاها اخلاقيا دينيا في النقد يحاول أن يوجه الشاعر توجيها دينيا ، فأفلاطون يرى: « أن معظم الشعر الموجود في عصره غير مناسب من الناحية الأخلاقية للأهداف التربوية، وسبب ذلك، من وجهة نظره، أن الشعراء في قصصهم عن الآلهة وأبطال التاريخ يصورون نواحي متعددة من الضعف الأخلاقي عندهم ، وذلك له تأثير سيئ على الشباب» [٢].

فوضع «أفلاطون» الشعر في مواجهة الأخلاق والتربية، وهو بوصفه فيلسوفا يقيم نقده الفلسفي على أساس معيار أخلاقي [٣] .

ولم يتوقف هذا الاتجاه عند اعتاب الفلسفة القديمة فـ (جيروم ستولنتز) في كتابه النقد الفني - دراسة جمالية وفلسفية ، يرى أن قضية الاخلاق والنقد مستمرة منذ أيام أفلاطون إلى عصره، ويضرب امثلة بثلاثة أعلام من أزمنة مختلفة يغلِّبون الأخلاق على معايير الجمال الفني، وهم: (أفلاطون ، وتولستوي، ورالف بارتون)، «فيعرض أفكارهم ويناقش وجهة نظرهم ،ويرد من خلال آرائهم على أصحاب الفن للفن بأنه ليس من حق الفن تجاوز القيم الاخلاقية، بل تنبغي معاملته بوصفه نشاطا بشريا مثل اي نشاط آخر، ومن ثَمَّ فلا بد من خضوعه للرقابة إذا تجاوز القيمة والاخلاق..»[٤] وأثر النظرية الاخلاقية ظهر عند ناقد العصر الفيكتوري ماثيو أرنولد الذي ربط بين الشعر والأخلاق[٥]، ويؤلف في السياق نفسه نقاد كبار أمثال نورثاب فراي وهارولد بلوم وفرانك كيرمود الذين أعطوا

---

(١) ينظر: النقد الأدبي الحديث- محمد غنيمي هلال: - دار العودة - بيروت - ١٩٨٦ – ٣٦٣ .

(٢) في نقد الشعر - محمود الربيعي: دار المعارف بمصر - ط٤ - القاهرة ١٩٧٧ - ١٧، ١٨ .

(٣) المصدر نفسه – ١٩ .

(٤) وليمة لأعشاب البحر بين قسيم الإسلام وحرية الإبداع- إبراهيم عوض- دار الفكر العربي - ٢٠٠١- ٧٩ .

(٥) ينظر: المعيار الاخلاقي في نقد الشعر العربي- عباس ثابت حمود- دار دجلة عمان – الاردن ط١- ٢٠٠١١ ص ٧٣ .

لمشاريعهم النقدية بعدا لاهوتيا[١] .

فالمعيار الأخلاقي لم يغب قط عن الساحة النقدية، في أشد المواقف ابتعادا للدين، وركونا للدنيا كالإعلان النيتشوي عن موت الاله، فهذه الفلسفة رفضت ان يكون الدين مصدرا للأخلاق لكنها رضيت ان يكون الانسان هو مصدر التشريع، لذلك لم يختف المعيار الاخلاقي من المنجز النقدي الغربي غير ان صوره واشكاله وبواعثه هي من اختلفت وتبدلت فالخطاب الديني في كتابات النقاد يتراوح بين الجلاء والخفاء[٢] .

• **ثانياً: الاتجاه الاخلاقي عند العرب**

الأخلاق عند العرب جزء أصيل من تكوينهم الفكري، وسمة بارزة فيهم، غير أنها لم تصل إلى مرحلة الكمال؛ فبعث النبي ﷺ؛ ليتمها («إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق») [٣] فالأخلاق شطر الدين، وهي إحدى صور التعبير العملي للدين، وليس من خط واضح يفصل بين الخلق والدين في الاسلام [٤]، والاخلاق لفظ عام مطلق ليس حكرا على ميدان او نشاط بعينه .. والأدب ونقده واحد من هذه الميادين التي حضرت فيها الاخلاق بصورة متباينة منها: الاحتكام الى قضية «الصدق والكذب بمفهومهما الواقعي، والغلو والافراط والمبالغة والخروج عن الحد المألوف في القول والوصف»[٥] ففي عصر ما قبل الاسلام لِيم المهلهل بن ربيعة ؛ لأنه «كان يدعي في شعره، ويتكثر في قوله أكثر من فعله»[٦]، فقد اشتهر بعض الشعراء الجاهليين «بالتزامهم الخلقي أو الديني، وكان منهم شعراء يتعففون في أشعارهم ولا يستهترون بالأعراض والأخلاق ولا يقاذعون في هجائهم، كان زهير بن أبي سلمى أشهرهم ....بما تضمنته أشعاره من أخلاق فاضلة وقيم نبيلة، بل إنه لا يمدح الرجل إلا بما فيه ، روي أنه كان لا يهجو إلا مضطرا»[٧] .

---

(١) ينظر:إدوارد سعيد بين النقد الديني والنقد العلماني- إسماعيل العثماني ٣٠.

(٢) ينظر: المصدر نفسه الصفحة نفسها .

(٣) صحيح الأدب المفرد – البخاري – تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني الناشر : دار الصديق ، ط٤ هـ - ١٩٩٧م – ٦٧.

(٤) لذلك فأن الناقد القديم لم يفصل بين الاخلاق والقيم والعرف الصالح وبين قضايا الدين فهما عنده بمعنى واحد ينظر: حسان بن ثابت في معايير النقد الأدبي – د . عبد الجبار المطلبي- مجلة المورد- مج ٩- ع ٤- سنة ١٩٨٠ص ١٢٣.

(٥) الاتجاه الأخلاقي في نقد الشعر عند ابن باكثير الحضرمي (ت ٩٧٥ هـ)في كتابه تنبيه الأديب على ما في شعر أبي الطيب من الحسن والمعيب-.د. أنوار سعيد جواد -.د.بشرى حنون محسن- مجلة آداب المستنصرية -ع ٨٧ - ٢٠١٩ -٣٤٥ .

(٦) طبقات فحول الشعراء - بن سلام الجمحي(١٣٩ هـ) تحقيق: أبو فهر محمودمحمد شاكر مطبعة المدني. مصر - ٦٩ .

(٧) دراسات نقدية في الشعر العربي-بهجت عبد الغفور الحديثي-المكتب الجامعي الحديث، ، مصر ، ٢٠٠٤- ٢٢٢ .

وبنزول القرآن الكريم تطور الاتجاه الاخلاقي تطورا ملحوظا فقد انزل الله تعالى آية تتعلق بموقف الاخلاق من قول الشعر **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشُّعَرَاء من الآية ٢٢٤ الى الآية ٢٢٧] [١] وهذه الآية الكريمة تمثل موقفا نقديا أيضا بوصف القرآن الكريم قدم تقسيما نظريا للشعراء «فأصبحوا بموجبه يصنفون تصنيفا يرتفع عن التصنيف القبلي الذي كانوا يعرفون به»[٢] وهو موقف نقدي يمكن الاحتكام إليه، لأنه يؤسس لعلاقة واضحة بين القول والعمل قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الصَّف الآية ٢] ، وقد رفد القرآن العظيم الحياة والثقافة والأدب بقيم جديدة أسهمت في تطور النقد على مستوى الشكل والمضمون، ولا سيما أن الاحكام النقدية كانت متصلة بكتب الاعجاز القرآني، لذلك فقد أُستعملت مصطلحاته البيانية واساليبه الراقية وصوره الجميلة مقياسا للصياغة الأدبية الراقية، فضلا عن مضامينه المتعلقة بالصدق والموضوعية والاعتدال في القول[٣] وهذه كلها تعاورت في ترسيخ الاتجاه الاخلاقي في النقد، فضلا عما روي عن النبي ﷺ بهذا الشأن ، وهي روايات كثيرة أغلبها تتخذ صورة نقدية أخلاقية منها حثه على الصدق عامة والشعر خاصة «الشِّعر كلامٌ حسنه حسنٌ وقبيحه قبيح»[٤]، لذلك فـ«أصدق كلمة قالتها العرب كلمة لبيد بن ربيعة : ألا كل شيء ما خلا الله باطل»[٥]، وحكم النبي ﷺ يدور حول المضمون الإيماني والاخلاقي لهذا البيت، وله ﷺ توجيهات فنية نقدية زيادة على توجيهاته الأخلاقية وموقفه من الشعر ووظيفته كتلك التي وجهها إلى شعر كعب باستبداله لفظ مجادلنا بـ (مجالدنا)[٦] في البيت القائل:

مُجالَدنا عن ديننا كلُّ فخمة

مذربّةٍ فيها القوانس تلمع[٧]

وبالمعيار الفني ذاته نظر النبي ﷺ إلى شعر

(١) سورة الشعراء – الآية ٢٢٤- ٢٢٧ .

(٢) المعايير النقدية في كتاب الموازنة للآمدي-عادل بوديار-معهد الآداب واللغات- الجزائر- ١٢ .

(٣) ينظر: النقد الأدبي في آثاره واعلامه- حسن الحاج حسن- المؤسسة الجامعية للدراسات والتوزيع- بيروت- ١٩٩٦- ٣٩ .

(٤) الأدب المفرد- ١٠٣ .

(٥) خزانة الآدب – عبد القادر البغدادي- تحقيق: عبد السلام هارون- مكتبة الخانجي- مصر-ج٣ – ٤٢ .

(٦) ينظر: السيرة النبوية-ابن هشام-أبو محمد عبد الملك بن هشام٢١٨هـ تحقيق مصطفى السقا - الحلبي-١٩٣٦- ١٣٣ .

(٧) ديوان كعب بن مالك الانصاري ، دراسة وتحقيق ، سامي مكي العاني ، ساعد جامعة بغداد على نشره ، منشورات مكتبة النهضة – بغداد ، - ٢٢٣ .

النابغة الجعدي:

أَتَيتُ رَسُولَ الله إذْ جَاءَ بالهُدَى
وَيَتلُو كتَاباً كالمجرَّةِ نَيرَّا
بَلَغْنا السّما مجداً وجوداً وسؤددا
وإنا لَنرْجو فَوْق ذلك مَظَهرا[١]

وهذه الإشارات الفنية تفند الرأي السائد القائل: بأن النقد في هذه المرحلة لا يعدو التوجيهات الاخلاقية ، وهي تشير أيضا إلى أن المعيار الأخلاقي قديم النشأة، عرفه العصر الجاهلي ووقع تحت تأثيره كثير من الشعراء- الجاهليين، وعرف في العهد النبوي، وكان الخلفاء الراشدون أكثر تأثرا به، فعمر رضي الله عنه أحد الخلفاء الذين حكَموا المعيار الأخلاقي في الشعر؛ وقد همَ بقطع لسان الحطيئة ؛ لأنه أقذع في هجاء الزبرقان بن بدر، غير أنه عدل عن حكمه واكتفى، بحبسه، ثم رقَ له «وأطلق سراحه بعد أن سمع منه أبياتا يستعطفه فيها بعياله الذين خلفهم وراءه غير عائل» [٢] ، وتحت تأثير المعيار الأخلاقي كان عمر رضي الله عنه يفضل الشاعر زهير ويقدمه - على غيره من الشعراء؛ لأنه وجده «لا يعاظل بين الكلام، ولا يتبع حوشيه، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه؛»[٣] ويرى الآمدي أن قول الفاروق هنا يتجاوز المعيار الاخلاقي فهو موقف يحمل معيارين معا أخلاقي وفني ، وكأنه وسع بذلك دائرة النقد الاخلاقي [٤]، وهذا يعني أنه كان يرى أن الشعر سبيل لبناء الإنسان الذي لا ينجح في حياته إلا بسلوكياته وأخلاقه الفاضلة، لذلك أكد على ضرورة الانتقاء مماَ يا روى من أشعار العرب إذ يقول : «اروا من الشعر أعفَه، ومن الأحاديث أحسنها، ومن النسب ما توصلون عليه، وتعرفون به، فرب رحم مجهولة قد عرفت فوصلت؛ ومحاسن الشعر تدل على مكارم الأخلاق وتنهى عن مساوياها»[٥].

وبمثل هذه النظرة ازدهر المعيار الأخلاقي في ظل الإسلام، «وأخذ حجما أكبر في العملية النقدية وفي ترسيخ فكرة النظرة الإسلامية في النقد، ولا ريب في ذلك؛ لأن الإسلام دين عماده الأخلاق وهي من أهم الأسس التي يقوم عليها الدين»[٦] .

ونظرة الصحابة إلى الشعر وتقويمه لهي امتداد لنظرة القرآن الكريم، والنبي ﷺ فتقويمهم للشعر ينبع من أسس العقيدة الاسلامية

---

(١) دراسات نقدية في الشعر العربي-بهجت عبد الغفور الحديثي-المكتب الجامعي الحديث، ، مصر ، ٢٠٠٤- ٢٢٢ .

(٢) الموازنة –الآمدي- تحقيق السيد أحمد صقر- دار المعارف بمصر- ١٩٩٢- مج ١- ٢٤ .

(٣) الموازنة -٢١٤ .

(٤) النقد بين الفن والاخلاق - مريم النعيمي- الناشر المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث- الدوحة- ط١ -٢٠٠٨- ١٦ .

(٥) التفكير النقدي عند العرب -عيسى علي العاكوب- دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٠- ٢٩ .

(٦) دراسات نقدية في الشعر العربي - ٢٢٢ .

والتربية الاخلاقية القويمة فقد «روي عن ربعي بن خراش قال : وفدنا على عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فقال من الذي يقول :

إلا سليمانَ إذْ قالَ الإلهُ له
قُمْ في البَرِيَّةِ فاحْدُدها عن الفَنَدِ

قالوا : النابغة قال: فمن يقول:

فألفيتُ الأمانةَ لم تَخُنْها
كَذَلِكَ كان نُوحٌ لاَ يَخُونُ

قالوا : النابغة قال: فمن يقول:

حَلَفتُ ولم أتْرك لنفسكَ رِيبةً
وليس وراءَ اللهِ للمرءِ مَذْهَبُ[١]

قالوا: النابغة قال. «قال عمر(رضي الله عنه) : وذلك أشعر شعرائهم»[٢] .

وواضح هنا الاحتكام الى المعيار الديني والاخلاقي، ونتابع هذا المعيار عند عثمان بن عفان رضي الله عنه حين حبس ضابئ بن الحارث بن أرطأة ؛ لأنه هجا بني نهشل أفحش هجاء، «وكان ضابئ قد استعار منهم كلبا للصيد، فطال مكثه عنده فطلبوه فامتنع عليهم فعرضوا له فأخذوه فغضب ورمى أمهم بالكلب فاستعدوا عليه عثمان بن عفان فحبسه وقال:والله لو أن رسول الله ﷺ حي لاحبسنه، نزل فيك قرآن وما رأيت أحدا رمى قوما بكلب قبلك»[٣] .

ولقد كان ابن عباس يوجه الشعراء توجيها اخلاقيا، ويحذرهم من الهجاء والبذاءة في القول، وروى الاصفهاني أن ابن عباس قال للحطيئة : «والله لو كنت عركت بجنبك بعض ما كرهت من أمر الزبرقان كان خيرا لك، ولقد ظلمت من قومه من لم يظلمك وشتمت من لم يشتمك»[٤] . وبذلك نما الاتجاه الاخلاقي في النقد في مرحلة صدر الاسلام والخلافة الراشدة واقترن نشاطه وقوته بقوة الدولة الاسلامية واستقرارها، وتمسك الناس بقيم الإسلام، لكن هذا الاتجاه بدأ بالفتور مع الاضطرابات والفتن التي حدثت في مرحلة العهد الاموي فقد تبدل ايقاع الحياة وتبدلت معها اتجاهات الشعرية والنقد المرتبط به، فزادت حدة غرض الهجاء وعادت العصبية القبلية الى ميدان الادب فأحيا بعض الشعراء النعرات وتقاذفوا التُهم بينهم فأثرت هذه على صور النقد المصاحب له[٥]، مع أن ثمة ملاحظات أخلاقية ابداها خلفاء بني أمية على شعر بعض الشعراء «ولكنها كانت انطباعية

(١) ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف : ٢٠ ، ٢٢٢ ، ٧٢ .
(٢) تهذيب الاثار وتفصيل الثابت عن رسول الله ﷺ من الاخبار – محمد بن جرير الطبري – قرأه وأخرج احاديثه – أبو فهر محمود محمد شاكر- منشورات جامعة الامام محمد بن سعود- الرياض - ١٩٨٢ – ٦٩ .
(٣) الشعر والشعراء- ابن قتيبة – تحقيق أحمد شاكر- دار المعارف – مصر- ج١ ٣٠٥ .
(٤) الاغاني – لابي فرج الاصفهاني – تحقيق: ابراهيم الأبياري- دار الشعب – م٢- ٨٩ .
(٥) النقد- شوقي ضيف - الطبعة الثانية، دار المعارف بمصر، جمهورية مصر العربية،١٩٧٤- ٩٦ .

وتفتقر إلى قواعد ومقاييس مضبوطة»[١].

غير أن اللغويين والفقهاء ظلوا متمسكين بالاتجاه الاخلاقي فهذا عمرو بن العلاء (١٥٤هـ) يقول عن شعر لبيد : «ما أحد أحب الي من شعر لبيد ؛ لذكره الله ولإسلامه، ولذكره الدين والخير، ولكن شعره رحَى بزر»[٢] وهذا القول يدل على استمرار النقد الاخلاقي من جهة وعلى الاحتكام الى المعيار الفني من جهة أخرى، فقد شبه شعره بالرحى التي تطحن الحبوب كناية عن ضعفه الفني، ونجد نقاداً مثل الباقلاني وابن شرف وابن بسام أخلاقيين في معيارهم: فالباقلاني يعيب معلقة امرئ القيس من زاوية أخلاقية؛ لذلك فهو يعد واحدا من ابرز النقاد المتكلمين الذين حاولوا أن يغذوا النقد بمعين اخلاقي ديني عن طريق الربط بين القرآن الكريم والشعر[٣] .

وقد سار الأصمعي على طريق شيخه أبي عمرو بن العلاء متبنيا النظرة الأخلاقية في غير موقف فكان» لا ينشد ولا يفسر ما كان فيه ذكر الأنواء لقول رسول الله ﷺ : إذ ذكرت النجوم فأمسكوا؛ لأن الخبر في هذا بعينه : مطرنا بنوء كذا أو كذا، وكان لا يفسر وينشد شعرا فيه هجاء، وأن لا يفسر شعرا يوافق في تفسيره شيئا من القرآن»[٤].

ولقد ظل الاحتكام إلى المعيار الأخلاقي مسيطرا على النقد العربي حتى في ظل مقولات الاصمعي والجرجاني [٥] التي يوحي ظاهرها بإقصاء هذا المعيار عن ميدان النقد، لكن وربما يؤشر حضور مثل هذه الأقاويل على سطوة النقد الاخلاقي واسراف اصحابه، وغلوهم في بعض الاحكام من جهة اخرى ، ولاسيما أن هذه الأقاويل قيلت في سياق دفع تهمة الزندقة عن المتنبي، ولم تقصد إقصاء المعيار الأخلاقي قدر ما أرادت إقامة سد فاصل بين الشعر والأخلاق؛ وبين الشاعر

(١) النقد الأخلاقي (أصوله وتطبيقاته) ، نجوى صابر ، بيروت- ١٩٩٠ - ٢٩ .

(٢) الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء للمرزابي- تحقيق علي محمد البجاوي - دار الفكر العربي - ٨٩ .

(٣) دراسات في النقد الأدبي - أحمد كمال زكى دار الأندلس - ط٢ بيروت يونيو ١٩٨٠ - ٧٨ .

(٤) الكامل- للمبرد - تحقيق محمد أحمد الدالي- مؤسسة الرسالة -بيروت ١٩٨٦- ١٣٤ .

(٥) للأصمعي (..الشعر نكد بابه الشر إذا أدخلته باب الخير لان...)والجرجاني(فلو كانت الديانة عاراً على الشعر، وكان سوء الاعتقاد سبباً لتأخر الشاعر لوجب أن يُمحى اسمُ أبي نواس من الدواوين، ويحذف ذكره إذا عُدّت الطبقات، ولَكان أولاهم بذلك أهل الجاهلية، ومن تشهد الأمة عليه بالكفر، ولوجب أن يكون كعب بن زهير وابن الزِّبَعرى وأضرابُهما ممّن تناول رسولَ الله ﷺ وعاب من أصحابه بُكْماً خرساً، وبِكاءً مُفْحَمين؛ ولكنّ الأمرين متباينان، والدين بمعزل عن الشعر) ينظر: فحولة الشعراء ٣٥الوساطة بين المتنبي وخصومه - القاضي عبد العزيز الجرجاني - تحقيق :ابو الفضل ابراهيم وعلي البجاوي -دار احياء التراث ط الثالثة - ٦٣ .

وشعره. ولم يرد ذكر المعيار الأخلاقي في أول محاولة مدونة ومنهجية في النقد القديم حينما احتكم ابن سلام الجمحي في طبقاته الى معايير الجودة والكثرة والقدم، فلم يجعل من بينها معيارا للأخلاق غير أن ابن سلام لم يلغ المعيار الاخلاقي على مستوى الممارسة والحكم؛ فقد أورد في مقدمة كتابه «طبقات فحول الشعراء» حديثا عن صنفين من الشعر العربي القديم كان لمضمونهما صلة واضحة بالجانب الأخلاقي، وذكر «أن من الشعراء من كان يتأله في جاهليته ويتعفف في شعره، ولا يجاهر بالفواحش، ولا يتهكم في الهجاء، ومنهم من كان ينعي على نفسه ويتعهر»[١]، وكأن ابن سلام اراد بالتعفف «تجنب الشاعر الجاهلي فاحش اللفظ والمعنى في هجائه وفي غزله، وأراد بالتَعهُر أن يعمد الشاعر إلى الفاحش من الألفاظ والمعاني ويجعلها في هجائه وغزله»[٢] .

وينتمي ابن قتيبة إلى زمرة النقاد الاخلاقيين فليس عجبا وهو القاضي والمحدِّث والفقيه، وقد افصح عن منهجه في مقدمة كتابه عيون الأخبار بقوله: «إن هذا الكتاب – وان لم يكن في القرآن والسنة وشرائع الاخلاق وعلم الحلال والحرام – دال على معالي الامور مرشد لكريم الاخلاق زاجر عن الدناءة، ناه عن القبيح ، باعث على صواب التدبير وحسن التقدير»[٣] وقد تجلى اهتمامه في المعيار الاخلاقي بتعليقه على المعنى الشريف الذي يصدر عن خلق سام ، وبلفظ حسن، وضرب لذلك مثلا بشعر أبي ذؤيب :

والنّفْسُ راغبةٌ إذا رَغّبتَها
وإذا تُرَدُّ إلى قليلٍ تقنعُ[٤]

ولقد رد «ابن طبا طبا»(٣٢٢هـ)، عيار الشعر إلى موافقته للحال التي تنظم من أجلها، وفهم «ابن طبا طبا» هذه الحال فهما أخلاقياً مباشرا [٥]. واعتمد المعيار الاخلاقي المتمثل بالصدق ودعا الى اعتماده في الترجيح والحكم ومن ثم فإنه حاول الترجيح بين رد حسن الشعر إلى الصياغة وحتمية الاهتمام بالمعنى؛ «وهو بذلك يوازن بين تصوراته الأخلاقية عن المعنى، وتسليمه بأهمية الصياغة ودورها في صنعة الشعر، فلا يتعارض التسليم بأن المعنى الواحد يمكن أن يعبرَّ عنه بطرق متعددة تتفاوت قيمتها تبعا لصياغتها مع الوعي بوجود مستويات متعددة للمعاني ذاتها من حيث القيمة»[٦] فابن طبا طبا

(١) التفكير النقدي عند العرب، ٤٤٤ .
(٢) المعايير النقدية في كتاب الموازنة : ١٨ .
(٣) عيون الاخبار – ابن قتيبة – دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٣٠- المقدمة – ١ .
(٤) الشعر والشعراء : ١٣٥ . و أبو ذؤيب الهذلي ، حياته وشعره ، نورة الشملان ، الناشر عمادة شؤون المكتبات ، جامعة الرياض – الرياض المملكة العربية ٥٦ .
(٥) مفهوم الشعر في التراث النقدي -جابر عصفور ، ط٣، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت،.٩٠ - ٢٤ .
(٦) دراسات نقدية في الشعر العربي، ٢١١ .

ينظر الى الشعر بمنظور الصدق، ويرى أن شعراء الجاهلية والإسلام قد وضعوا أشعارهم على هذا الأساس، وما اعجب ابن طباطبا بشعر زهير الإ «لتوافق الصياغة مع المعنى الأخلاقي والحكمة الموجزة التي يمكن أن تساهم في البناء الأخلاقي للفرد فتصبح القصيدة بذلك قادرة على ممازجة الروح، وعلى تعديل حالات النفس،»[١] ويبدو أن ابن طباطبا يوازن بين الاتجاه الاخلاقي والاتجاه الفني في النقد وبهذا فأنه انضج فكرا من سابقيه برأي جابر عصفور .

ويبدو أن الاتجاه الاخلاقي كان ملازما للعملية النقدية في تراثنا النقدي ولكن بنسب حضور متفاوتة، فلم يكن هو المعيار الوحيد في النقد كما أنه لم يغب عن عيار النقد مطلقا إلى الحد الذي جعل أدونيس يرى متوهما أن النقد القديم « يدور كله حول معرفة مدى التطابق بين كلام الشاعر والحق، أي بين الشعر والأخلاق والدين؛ لذلك فان معيار الصحة الشعرية ـ بحسب ذلك الموروث ـ كان معيارا إسلاميا أخلاقيا يحاول أن يدرك تماسك النظام الديني وتطابق الشعر معه « [٢]، فالنقد بحسب تلك النظرة القديمة – بحسب رؤية ادونيس - فن اكتشاف الوحدة بين الشعر والواجب الأخلاقي والاجتماعي، وأدونيس يضع هذا الكلام بوصفه نتيجة استقرائية مفروغ منها وخلاصة للمنجز النقدي القديم كله، لذلك ـ فمن وجهة نظر أدونيس ـ « يجب ان تتغير النظرة إلى النقد بالثورة عليه لتغيره جذريا. ولن يتم ذلك الا بشطب الدين والاخلاق من عرف الناس.» [٣]، وقد اثمرت هذه الصيحات فضلا عن اسباب أخرى إلى ضعف الاتجاه الاخلاقي في النقد الحديث ولا سيما مع بداية تأثرنا بالمنجز النقدي الغربي، غير أن هناك اصوات بدأت تدعو من جديد الى الاحتكام الى هذا المعيار.

- **الاتجاه الاخلاقي في النقد القديم من منظور الدراسات النقدية الحديثة**

موقف الدراسات النقدية الحديثة من قضية الاخلاق في الأدب ونقده جزء من موقفهم من التراث العربي كله، فهي مواقف لا تصدر عن رؤية موحدة فتظل متأرجحة بين مؤثرات الثقافة العربية والإسلامية، والثقافة الغربية؛ وتبعا لهذا، ظهرت ثلاثة تيارات: تيار محافظ يدعو إلى التشبث بالتراث للخروج من الأزمة الثقافية، وكثيرا ما يردد أصحاب هذا الاتجاه -عند الحديث عن الجديد في الجهود النقدية واللغوية والفكرية في الغرب- عبارة مفادها ...إن هذه الفكرة أو أساسها موجود عند الجرجاني أو الآمدي أو ابن خلدون أو سيبويه ....الخ[٤] .

(١) مفهوم الشعر في التراث النقدي، - ٢٤ .
(٢) الثابت والمتحول- بحث في الإبداع والإتباع عند العرب- أدونيس- دار الساقية- لبنان-ط٧- ج٢ – ١٤٥ .
(٣) الثابت والمتحول – ٨٧ .
(٤) ينظر: المنهج الإسلامي في النقد الأدبي- سيد سيد عبد الرزاق - دار الفكر المعاصر- بيروت، دمشق-ط١

وفي مقابل هذا التيار هناك تيار معاصر، يدعونا أن نحذو حذو الثقافة الغربية، بالانكباب على المنجز النقدي الغربي حلوه ومره انكبابا غير واع، و التنكر للتراث[١] فبدأت حالة من الانفصام بين النقد والتراث، تتمثل بالقراءة الجزئية الانتقائية لهذا التراث التي تستعجل الحكم وتخضعه في غالب الاحيان لتوجهات الناقد وأيدولوجيته، فالقراءة النقدية لا تتجه من النص صوب الفكر وانما من الفكر صوب النص .

أما التيار الثالث فهو تيار توفيقي متوازن يرى أن الموقف من التراث النقدي ينبغي أن لا يقوم على تهميشه أو الحط من قدره ، بالقدر الذي يعد التعصب للتراث وفرض القداسة عليه كله أمرا خاطئا أيضا ؛لأن التراث جهد الإنسان - خلا القرآن والسنة- وفيه من الصواب و الخطأ بقدر توفيق المجتهد وقوة ملاحظته وتوقد ذكائه، وأعمال فكره، وصحة قياسه واستنباطه واستحضاره للأدلة [٢] - بالمقابل فأن أنصار هذا التيار يرون أن الموقف من المنجز النقدي الغربي ومذاهبه «ينبغي أن يكون - شأن موقفه من الفكر الغربي عامة - موقف اصطفاء واختيار، أن يستفيد منها لا أن يقلدها، أن يعرضها على ميزان عقيدته ولغته وذوقه، فما اتفق معها أخذه، وما تناقض معها رفضه، أنه ليس موقف القبول المطلق ولا الرفض المطلق، ففي هذه المذاهب بعض ما يصلح لنا، ولكن فيها الكثير الكثير مما يفسد الذوق والفكر، ويتناقض مع تصوراتنا العقدية، ونظرتنا إلى الحياة والإنسان والكون»[٣].

وأن الرؤية النقدية المعاصرة تبعا لذلك انقسمت الى ثلاثة اقسام بإزاء قراءتها للنصوص النقدية التراثية وموقف النقد القديم من تحكيم المعيار الاخلاقي :

قسم أول يزعم أن النقاد القدماء لم يتخذوا من الاخلاق معيارا في نقدهم ، بل أنهم استبعدوا وجوده أصلا، وهذه اقاويلهم وآراؤهم النقدية التي تواترت عنهم تؤكد أنهم لم يتحاكموا الى هذا الاتجاه الاخلاقي فكان نقدهم نقدا فنيا مطلقا، ولا سيما في مرحلة نضجه ودخوله مرحلة التدوين، وأن هذا الاتجاه الاخلاقي صدر من غير النقاد فيما روي عن رسول

٢٠٠٢-٣٢ .

(١) يتجسد هذه التيار بدعوات الدكتور طه حسين وتلامذته ينظر :مستقبل الثقافة في مصر - دار النهضة القاهرة ط١- ٦٧ .

(٢) ينظر: مقالات الإسلاميين في الأدب والنقد -أحمد الرافعي شرفي- دار ابن حزم- بيروت -لبنان – ط١- ٢٠٠٩-١٥٢ وينظر :النقد الأخلاقي أصوله وتطبيقاته- ٦٨ وينظر :أثر القرآن الكريم في تطور النقد الأدبي – محمد زغلول سلام- مطبعة المعارف المصرية- القاهرة –ط ١- -١٤٥ .

(٣) المذاهب الأدبية الغربية- وليد القصاب – مؤسسة الرسالة –بيروت-لبنان – الطبعة الأولى ٢٠٠٥ –٢٧ .
وينظر: (مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي)- عماد الدين خليل ٣٣ وينظر: المنهج الإسلامي في النقد -٧٩ .

الله ﷺ والصحابة الكرام وبعض أهل اللغة والفقهاء، وهي نزيرة لا يعتد بها، بالقياس الى الكم الكبير من الأدلة النقدية القديمة التي تؤكد رفض النقاد الاحتكام إلى المعيار الأخلاقي، والاقرار بالمعيار الفني على مستوى التنظير والتطبيق ، وقد استدل هذا القسم الرافض للاتجاه الاخلاقي بأدلة من التراث النقدي يوهم ظاهرها بصحة ما يقولون.

وهناك قسم ثان من المعاصرين يؤكد أن النقد القديم معظمه قد ركن إلى المعيار الفني، فهناك أدلة على مستوى التنظير والتطبيق تؤكد سيادة هذا المعيار على سواه، غير أن هذه الأدلة لا تنف وجود اتجاه اخلاقي في الممارسة النقدية، فالنقاد القدماء سمحوا لهذا المعيار الاخلاقي على مستوى التطبيق بالظهور الى جوار المعيار الفني فعاش المعياران الفني والاخلاقي جنبا الى جنب مع أن الغلبة كانت تحتكم الى المعيار الفني مع تفاوت بين ناقد وآخر . ولهذا القسم أدلة من التراث تؤيد مذهبه .

أما القسم الثالث فيرى أن الناقد القديم لم يتخل عن المعيار الأخلاقي إلا في حالات خاصة، وما صدر من النقاد القدماء من اقاويل يوهم ظاهرها بإهدار التقييم الاخلاقي واقصائه، فهذا لا يمثل موقفا ثابتا؛ لأنها قيلت في سياقات معينة لها مسوغاتها، وهي لم تتجاوز الاقاويل لتتحول الى ممارسة تطبيقية بل على العكس فأن اصحاب هذه الاقاويل القاضية بانفصال المعيار الاخلاقي عادوا وحكموا النصوص محاكمة اخلاقية وهؤلاء النقاد – من منظور هذا القسم - لم يتخلوا عن المعيار الاخلاقي، وقد احتكموا اليه وقدموه على المعايير الأخرى ، فلا فضل لنص عندهم حسن لفظه وساء معناه. ويرى أنصار هذا القسم أن لا انفصال بين الأخلاق والأدب ونقده مثلما لا انفصال بين الدين والاخلاق وسائر شؤون الحياة ، ويقرر هذا القسم أيضا أن الترويج لانفصال المعيار الاخلاقي في النقد القديم انما تسلل الينا من القراءة الجزئية لنصوص التراث ، وبتر هذا النصوص عن السياق الذي قيلت فيه، والاحتكام الى النظرة الاستشراقية، ويضرب هذا القسم ادلة معتبرة تدعم وجهة نظره. وواضح هنا أن هذه الاقسام تمثل ثلاثة مواقف أو ثلاث قراءات بإزاء النقد القديم: موقف يعتد بالمعيار الفني الصرف ولا يعترف بأي معيار اخر. وموقف يرى ان النقد القديم قد ركن الى المقياس الفني وقدمه على سائر المعايير الاخرى لكنه سمح للمعيار الاخلاقي - على استحياء- أن يأخذ دوره في الحكم فزاوج بين النظرة الفنية والاخلاقية، ويرى فيه نقدا شموليا أو نقدا فنيا واخلاقيا. وموقف ثالث يقدم النظرة الاخلاقية على الفنية فيرى أن النقد القديم نقد أخلاقي في المقام الأول، ولا ينكر حضور المعايير الاخرى كالمعيار الفني فيه.

ويمكن توزيع هذه المواقف الى ثلاثة اتجاهات على سبيل الدراسة والبحث، والا فأن قضية

الفصل بين هذه الاتجاهات وحصرها في انماط ثابتة قضية صعبة جدا، لكن في الوقت نفسه هي الاقرب لبيان موقف الدراسات الحديثة من الاتجاه الاخلاقي في النقد القديم، مع ان هذه التوزيع ليس توزيعا حادثا مبتدعا، فقديما قيل بشأن علاقة الشعر بالأخلاق: (أعذب الشعر أكذبه) وهم أصحاب الاتجاه الفني الذين لا ينظرون إلى الشّعر من باب الأخلاق والدين. وقيل: (أعذب الشّعر أقصده) وهم أصحاب النظرة التوفيقية التي قبلتْ بِكلا الفئتين. ثم قيل: (أعذب الشّعر أصدقه) وهم أصحاب الاتجاه الأخلاقي الذي يرى في الشعر مرآة للأخلاق، ويمكن تمثيل ذلك كله على النحو الآتي:

المبحث الأول

الإتجاه الفني

الاتجاه الفني: يقدم هذا الاتجاه أدلة على أن الناقد العربي في مرحلة نضج النقد قد أقصى المعيار الاخلاقي من ميدان الحكم النقدي، وركن إلى النظرة الفنية في اجماع تام من النقاد القدماء على إقصاء المعيار الأخلاقي، وما ورد في التراث من أحكام نقدية تركن إلى الاتجاه الأخلاقي فهي انما صدرت من خارج فضاء النقد، وهي تمثل وجهة نظر بعض الفقهاء واللغويين التي اخضعت قراءة النصوص للنظرة الذاتية والذوقية والاخلاقية في مراحل تبلوره.

وهنا ينكر أصحاب الاتجاه الفني وجود اتجاه أخلاقي في النقد التراثي ويرون أن الاتجاه الوحيد هو الاتجاه الفني الذي ينظر فيه اصحابه الى النص «نظرة فنية خالصة بغض النظر عما احتواه من مخالفات اخلاقية واجتماعية وهو اشبه ما ظهر في النقد الحديث من قولهم (الفن للفن)»[١].

فالغاية البلاغية التي نشأ النقد في ظلالها قتلت المعايير الأخرى، ومنها المعيار الاخلاقي، ولم تبق الا معيارا وحيدا للحكم هو المعيار الفني «اذ ليس لعمود الشعر طابع اجتماعي أو سياسي او ديني او فكري او فلسفي ، ما خلا الطابع الفني البلاغي ، وقد قرن النقاد العرب جودة الشعر بعمود الشعر ، وقالوا : الشعر الجيد المختار أتى على ابواب هذا العمود»[٢] .

وقرروا : «أن الفن القولي لا يمكن أن يعيش في كنف الدين أو الأخلاق، وكأن الأهداف الدينية والأخلاقية لا تأتلف وطبيعته ، كأن استهداف أوجه الخير تضعفه كما قال الأصمعي» [٣]

---

(١) النقد بين الفن والاخلاق- ص ٧١ .

(٢) القيم الدينية في ميزان النقد العربي القديم- أ. حسين الأسود- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق-مج (٨٢) ج ٤ -٨٠١ .

(٣) الأسس الجمالية في النقد العربي- د:عز الدين إسماعيل - دار الفكر العربي-الطبعة الثالثة- ١٩٧٤ -١٨٣ .

«وأن فترة ظهور الدين كانت فترة عارضة في حياة هذا الشعر، ما لبث أن تحول بعدها إلى مجراه الأول واتجاهه القديم، فترك الدين والأخلاق، ترك لهما ميدانهما ووقف بعيدا لا يكاد يتأثر بهما، ولم يكن النقاد منعزلين عن الشعراء في موقفهم، ولم يتخذوا من الدين و الأخلاق أساسا يرفعون به شاعرا ويخفضون شاعرا آخر، واستبعدوا الخيرية من ميدان الحكم النقدي»[١].

ويرى ناقد آخر أيضا: «أن الإسلام لم يكن له تأثير ايجابي على الأدب ونقده ويقصر تأثيره على الميدان الشكلي والبلاغي» [٢].

اذ كان نجاح الاسلام ضئيلا فبقيت في العرب روح الجاهلية وظل الشعراء يتمتعون بحرية واسعة في القول في صدر الاسلام والعصور العباسية،[٣] والى مثل هذا الرأي يذهب بعض النقاد المعاصرين، فالدين والشعر على مفترق طرق -كما يرى بعضهم - فكيف يقرر قسم من الباحثين وجود اتجاه اخلاقي في نقد الادب قديما وحديثا ؟!

كيف يقررون ذلك ودونهم النصوص التراثية تؤكد وتؤيد الفصل بين الدين والاخلاق والابداع!! وينضوي تحت هذا القسم الرعيل الأول من النقاد المعاصرين أمثال محمد مندور وعز الدين اسماعيل ومحيي الدين صبحي، وغيرهم كثير، ويضرب أنصار هذا الاتجاه الفني أمثلة من كتب التراث يعززون بها موقفهم، من أكثرها رواجا ووضوحا واستدلالا ما ذكره **الأصمعي**، وأبو بكر الصولي في كتابه (أخبار أبي تمّام) وقدامة بن جعفر في كتابه (نقد الشعر)، والقاضي الجرجاني في كتابه (الوساطة بين المُتنبي وخصومه) وسنأتي بأقوالهم موجزة ثم نذكر معها أقولا اخرى في موضعها ثم تعليقات المعاصرين عليها:

فالأصمعي (٢١٦هـ) أوّل النّقاد الذين أثاروا هذه القضية، وقد سأله أبو حاتم فقال» : شعر لبيد كأنه طيلسان بري ؛ يعني أنه جيد الصنعة وليست له حلاوة ، فقلت له : أفحلٌ هو ؟ قال: ليس بفحل. قال أبو حاتم: وقال لي مرة: كان رجلاً صالحاً كأنيَّ به ينفي عنه جودة الشّعر))»[٤] وثمَّة قولٌ آخر أُثر عن الأصمعي يقول فيه: «**طريق الشعر إذا أدخلته في باب الخير لانَ ألا ترى حسّان بن ثابت كان علا في الجاهلية والإسلام، فلما دخلَ شعره في باب الخيرِ من مراثي النّبي ﷺ،**

(١) ينظر: الاسس الجمالية -١٨٤ وما بعدها.

(٢) نظرية النقد الأدبي وتطورها إلى عصرنا- محي الدين صبحي- الدار العربية للكتاب -ليبيا - تونس١٩٨٤-١٧وما بعدها.

(٣) ينظر: النقد الجمالي وأثره في النقد العربي- روز غريب- دار العلم للملايين- بيروت- ط١ ١٩٥٢- ص ١٣٤ .

(٤) الموشح- المرزباني - تحقيق: علي محمد البجاوي- دار النهضة بمصر-القاهرة ١٩٦٥ - ١٠٠ .

وحمزة وجعفر رضوان الله عليهما، وغيرهم لانَ شعره، وطريق الشعر هو طريق الفحول مثل امرئ القيس، وزهير، والنابغة من صفات الديار والرحل والهجاء والمديح والتشبيب، والنساء، وصفة الخمر والخيل والحروب والافتخار، فإذا أدخلته في باب الخير لانَ»[١] **وفي رواية اخرى» (الشعر نكدٌ بابه الشّرُّ، فإذا دخل باب الخير لانَ)».**

أما أبو بكر الصولي (٣٣٦هـ)فقد ذكر في معرض دفاعه عن أبي تمّام ضد بعض خصومه من النقاد ممن طعن في دينه ، وشك في رقته، وهزال خلقه، وقلة ورعه، بل رماه بالكفر والزندقة فقد قال الصولي مدافعا عن أبي تمام : «**(وقد ادّعى قومٌ عليه الكفر بل حقّقوه، وجعلوا ذلك سبباً للطعن على شعره، وتقبيح حسنه، وما ظننت أنَّ كفراً ينقص من شعرٍ، ولا أنَّ إيماناً يزيد فيه)**»[٢] .

ثم كان كلام قدامة بن جعفر(٣٣٧هـ) أكثر وضوحا من سابقيه، فقال : «((ومما يجب توطيده وتقديمه، قبل الذي أريدُ أن أتكلم فيه، أنَّ المعاني كُلُّها معرضة للشاعر، وله أن يتكلم منها، فيما أحبَّ وآثر، من غير أن يُحضَرَ عليه معنى يروم الكلام فيه... وعلى الشاعر إذا شرع في أيّ معنى كان، من الرفعة والضعة، والرَّفث والنزاهة، والبذخ والقناعة، والمدح وغير ذلك من المعاني الحميدة والذميمة: أن يتوخى البلوغ من التجويد في ذلك إلى الغاية المطلوبة)).

ثُمَّ ذكر أن هنالك من يعيب قول امرئ القيس في قوله:

فمِثْلُكِ حُبْلى قد طرَقْتُ و مُرْضِعٍ
فَأَلهيْتُها عنْ ذِي تمَائِمَ مُحْوِلِ
إذا ما بَكَى مِنْ خَلْفِهَا انْصرَفَتْ لَهُ
بِشِقٍّ وتَحْتِي شِقُّهَا لَمْ يُحَوَّلِ[٣]

يقول : (**وليس فحاشة المعنى في نفسه مما يُزيل جودة الشعر فيه، كما لا يعيب جودة النجارة في الخشب مثلاُ رداءته في ذاته)**» [٤] .

ومما نقل عن قدامه قوله « **وللشاعر أن يقتصد في الوصف أو التشبيه أو المدح أو الذم ، وله أن يبالغ أو يسرف حتى يناسب قوله المحال ويضاهيه ولا يستحسن الكذب والاحالة في شيء من فنون القول الا في الشعر**»[٥] .

ورابع هذا الاقوال التي اعتمدها أصحاب الاتجاه الفني من المعاصرين ما ذهب اليه: **القاضي الجرجاني** (٣٩٢هـ) في وساطته وقوله هنا قريب من قول قدامة اذ يقول: «((والعَجَب ممن يُنقص أبا الطيب، ويغضُّ

(١) الموشح – ٨٥ .

(٢) أخبار أبي تمام - أبو بكر الصولي- تحقيق محمد عبده عزام وآخران، دار الآفاق الجديدة، بيروت ، (د.ط)، ١٩٨٠ -٣٥ .

(٣) ديوان آمرىء القيس أو الملك الضليل ، تحقيق د. محمد رضا مروة ، دار العالمية ، بيروت – لبنان : ٤٩ .

(٤) نقد الشعر- قدامة بن جعفر - دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان-٦٦ .

(٥) نقد الشعر ص ١٤٥ .

مـن شـعره لأبيـات وجدهـا تـدلُّ عـلى ضعـف العقيـدة، وفسـاد المذهـب في الديانـة. كقولـه:

يترَشَّفْنَ مِنْ فَمِي رشَفات
هُنَّ فيهِ أحْلى مِنَ التوحيدِ[١]

فلو كانت الديانة عاراً على الشعر، وكان سوء الاعتقاد سبباً لتأخر الشاعر لوجب أن يُمحى اسمُ أبي نواس من الدواوين، ويحذف ذكره إذا عُدّت الطبقات، ولكان أولاهم بذلك أهل الجاهلية، ومن تشهد الأمة عليه بالكفر، ولوجب أن يكون كعب بن زهير وابن الزِّبَعري وأضرابُهما ممّن تناول رسولَ الله ﷺ وعاب من أصحابه بُكْماً خرساً، وبِكاءً مُفْحَمين؛ ولكنّ الأمرين متباينان، والدين بمعزل عن الشعر[٢] .

فضـلا عـن هـذه الادلـة النقليـة فـأن مؤيـدي الاتجـاه الفنـي يضربـون أمثلـة عقليـة أخـرى مـن النقـد القديـم مثـل قولهـم : ان ابـن سـلام الجمحي (ت ٢٣١ هــ) في كتابه (طبقات فحول الشّـعراء)، لم يحـدّد مقياسـاً أخلاقيـاً يحاسـب بـه النّقـاد، أو منهجـاً دينيـاً يسـيرون عـلى هديه، والمهـمّ في الأمـر أنّـه لم يدخل في حسـبانه عند تقسـيمه الطّبقـات الاتجاه الأخلاقـي ولا الديني، والدّليـل عـلى ذلـك وضعـه لامـرئ القيـس في الطّبقـة الأوّلى مـن شـعراء المجيديـن عـلى مـما جـاء في شـعر مـن فحـش[٣].

هـذه أقـوى أدلـة مـن يـرى أن النقـد القـدم تبنـى المعيـار الفنـي، ولم يحتكـم إلى المعيـار الاخلاقـي، وأن الممارسـة النقديـة قديمهـا وحديثهـا ينبغـي لهـا ان تنـأى بنفسـها عـن محاكمـة النصـوص محاكمـة اخلاقيـة، وقـد عـبرت الدراسـات الحديثـة عـن موقفهـا هـذا بأسـاليب مختلفـة ومؤلفـات كثـيرة جـدا لكنهـا تلتقـي جميعـا في حكـم واحـد هـو: ان النقـد القديـم لم يركـن الى المعيـار الاخلاقـي الإ في نطـاق محـدد بـدا مـن خـارج سرب النقـاد مـن اللغويـين والفقهـاء، ويمكننـا أن نذكـر هنا بعض قـراءات النقـاد المعاصريـن لكتـب النقـد القديم قبـل أن نناقشـها في موضـع لاحـق مـن البحث : فقـد علـق الدكتـور عـز الديـن إسـماعيل عـلى نـص الأصمعـي بقولـه: «... والملاحظـة التـي وقـف عندهـا النقـد العـربي، وأصر في كل حالـة عـلى موقفـه هـي أن الفـن القـولي لا يمكـن أن يعيـش في كنـف الديـن أو الأخـلاق، وكأن الأهـداف الدينيـة والأخلاقية لا تأتلـف وطبيعته، وكأن اسـتهداف أوجـه الخـير تضعفـه كـما قـال الأصمعـي» [٤] ويجـزم الدكتـور عـز الديـن اسـماعيل - وهـذا رأي اغلـب المعاصريـن- معلقـا عـلى نـصي الاصمعـي والجرجـاني: «بأن الاسـلام لم يؤثـر عـلى طبيعـة الشـعر وصـورة

(١) ديـوان المتنبـي ، تحقيـق وشرح كرم البسـتاني ، دار صـادر ، بيروت – لبنـان : ١٥ .

(٢) الوسـاطة بـين المتنبـي وخصومـه -الجرجـاني – تحقيـق :ابـو الفضل ابراهيـم وعلي البجـاوي –دار احياء الـتراث ط ٣ – ٦٣ .

(٣) موقـف النقـاد مـن قضية الالتزام الخُلقي في الشـعر - د. يونـس إبراهيم- ٣ .

(٤) الأسس الجمالية في النقد العربي -١٨٣ .

النقـد، وأن فـترة ظهـور الدين كانت فـترة عارضة في حيـاة هـذا الشـعر مـا لبـث أن تحـول بعدهـا إلى مجـراه الأول واتجاهـه القديـم، فـترك الديـن والأخـلاق تـرك لهـما ميدانهـما ووقـف بعيـدا لا يـكاد يتأثـر بهـما ... ولم يكـن النقـاد منعزلـين عـن الشـعراء في موقفهم، ولم يتخـذوا من الدين والأخـلاق أساسـا يرفعون بـه شـاعرا ويخفضون شـاعرا آخـر، واسـتبعدوا الخيريـة مـن ميـدان الحكـم النقـدي»[١] ويـرى أيضا: «أن الإسـلام لم يكـن لـه تأثير ايجابي عـلى الأدب ونقـده ويقصر تأثـيره عـلى الميـدان الشـكلي والبلاغـي»[٢] ، والشـعر الـذي نمـا في هـذه المرحلـة القصـيرة لـون مـن الشـعر التعليمـي بـدا عنـد اصحـاب الآراء والمذاهـب الدينيـة في نظـر الدكتور محمد مصطفـى هـداره [٣] ويقـول الدكتـور الجـادر من خـلال قراءتـه لنـص الأصمعـي «فكانـه أعفـى نفسـه مـن المسـؤولية الدينية عند تفضيل شـعراء الوثنيـة على شـعراء الاسـلام حين قرر أن الشـعر نكـد بابـه الـشر»[٤] .

والغريـب أن عز الدين اسـماعيل يـرى ضرورة أن نجعل لـلأدب وظيفـة، وأن يكون الأديـب ملتزما ؛ غـير أن الالتـزام الـذي يعنيه الالتزام الاشـتراكي في حـين يرى أن قضية الالتـزام الاخلاقي بحاجة إلى إعـادة نظـر إذ يقـول: «مـع بواكـير العـصر الثـوري الـذي نعيشـه الآن بـدأ التحـول في طراز تفكيرنـا في مسـائل الأدب والفـن بعامـة، حيـث وضعـت مهمـة الأدب في الحيـاة موضـع النظـر والبحـث من جديـد»[٥].

والى مثـل هـذا الـرأي يذهـب محيـي الديـن صبحـي وأكـثر النقـاد المعاصريـن إتباعـا لمـا فهمـوه من النصـوص التراثيـة النقدية التي يشـير ظاهرهـا إلى فصـل الأدب ونقـده عـن الديـن والاخـلاق ، والأديـب ومعتقـده ، فقضيـة العلاقة بـين الشـعر والديـن والأخلاق صارت - بحسـب رأي محيـي الديـن صبحي الذي يـأتي رأيه تعقيبا على نص الاصمعي- «سـلاحا يشـهره غـير النقاد في وجـه الشـعراء، وأمـا النقـاد فقـد التزمـوا هذا الفصـل على طـول الخـط»[٦]، والى الرأي نفسـه ذهـب محمـود الربيعـي بعـد ان اسـتقرى نـص الاصمعـي والقاضي الجرجـاني والنصوص التي تشـير الى حالة الانفصـام – في نظره- ليقرر نتيجة عامـة في النقد العـربي القديم فيـما يتعلق بقضية الاخـلاق والنقـد إذ يقـول: «والناظـر في النقـد العـربي القديـم لا يجـد فيه مـا يشـير الى اعتناق النقـاد لذلـك المذهـب التعليمـي الـذي يربـط الشـعر بغايـات اخلاقية محـددة، ولكنـه يجد فيه

(١) الأسس الجمالية في النقد العربي ١٨٤ .
(٢) الأسس الجمالية في النقد العربي -١٨٣ .
(٣) اتجاهـات الشـعري العربي في القـرن الثاني هجري – محمـد مصطفـى هـداره- دار العلوم العربيـة بيروت – ط١ -١٩٨٨-٣٩٠.
(٤) الثعالبي ناقدا وأديبا –د محمود الجادر ص ٦٢ .
(٥) الشـعر في إطـار العـصر الثـوري: د. عـز الديـن إسـماعيل، دار الحداثـة، بـيروت، ط ٢- ١٩٨٥-٤٤ .
(٦) نظريـة النقـد العـربي وتطورهـا إلى عصرنـا –محـي الديـن صبحـي -١٧ .

ما يشير الى عكس ذلك، والحق أن المقاييس التي كان يقوم عليها نقاد الشعر عند العرب مقاييس فنية خالصة في عمومها ،أما الاخلاق .. فقد كانت خارج مهمة الشعر»[١].

وهذه الخلاصة الاستقرائية للنقد القديم التي جاء بها الربيعي تنفي وجود مقياس في النقد القديم غير المقياس الفني، وتقدم فهما جديدا عن الاتجاه الاخلاقي في النقد الذي حددته التعاليم الدينية والاهداف التعليمية وهي قضايا ليست من صميم عمل الناقد .

وعلى الرغم من أن آراء النقاد القدامى في قضية النقد والاخلاق دارت حولها تأويلات وقراءات تريد اخراجها من قالب الرفض التام للمعيار الاخلاقي بوصفها اقاويل قيلت في سياق الدفاع عن الشعراء، فأنها قدمت حجة للقائلين بفصل الاخلاق عن الحكم النقدي النقد ، ونمت الاتجاه الفني في النقد القديم على رأي احد الباحثين المعاصرين[٢] ، فتحسب صاحبة كتاب(النقد الاخلاقي)أن أبا بكر الصولي من النقاد الفنيين الذين لا يحتكمون في نصوصهم الى مقياس سواه ولعل ابرز مواقفه التي توضح هذا الاتجاه الفني عنده - بحسب المؤلفة- رأيه» في الفصل بين الدين والشعر في معرض دفاع التهمة التي اتهم بها أبو تمام في قول الصولي: «ولقد ادعى عليه قوم الكفر بل حققوه وجعلوا ذلك سببا للطعن على شعره وتقبيح حسنه، وما ظننت أن كفرا ينقص من شعر، ولا ايمانا يزيد فيه»[٣]، وتسهب في عرض الادلة من الصولي التي تثبت انطباق الاتجاه الفني في نقده، وتنفي عنه المعيار الاخلاقي منها قوله : «وكذلك ما ضر هؤلاء الاربعة الذين أجمع العلماء على أنهم أشعر الناس امرأ القيس والنابغة الذبياني وزهيرا والاعشى كفرهم في شعرهم ...»[٤] وتعقب «هذه تصريحات من الصولي باعتماده الجودة الفنية في تقديم الشاعر وشعره ولا دخل لذلك لإيمانه أو كفره»[٥] .

اما مقولة قدامة بن جعفر : «**(وليس فحاشة المعنى في نفسه مما يُزيل جودة الشعر فيه، كما لا يعيب جودة النجارة في الخشب مثلاُ رداءته في ذاته)**»[٦] فقد فسرها عز الدين إسماعيل تفسيرا يهدف ما قرره في غير موضع من كتبه ، وهو نفي الاتجاه الاخلاقي في النقد القديم فيقول: أنّ قدامة «أعطى الأهمية كلّ الأهمية للصّورة الأولى التي تتمّ فيها الصّنعة (أي النّجارة كما ذكر)، أما الهدف الأخلاقي فلا يُؤبه به، إذ ليس له أي عمل في تحسين الصّورة أو تقبيحها، فقد يكون حسناً، ويخرج العمل الأدبي كريهاً إلى النّفس، وقد يكون

(١) في نقد الشعر - محمود الربيعي - مكتبة الزهراء ١٩٨٥- ٥٥ .
(٢) النقد الاخلاقي ١٠٠ .
(٣) النقد الاخلاق -٩٩ .
(٤) المصدر نفسه ١٠٠ .
(٥) المصدر نفسه ١٠٣ .
(٦) نقد الشّعر، ١٣ .

فاحشاً، فلا يمنع ذلك من أن يخرج العمل محبّباً إلى النّفس مثيراً للإعجاب»[١].

ووافقته (نجوى صابر) الرأي ؛ لأنّها فهمت «أنّ المعيار الأخلاقي جزء من الدّين، والعمل الأدبي يعتمد على الصّورة الفنية، وكيفية تناول الشّعراء لعملهم الأدبي» [٢]؛ لذلك فأن قدامة في نظر أنصار الاتجاه الفني أكثر النقاد القدامى استجابة للأثر اليوناني وقربا من المعيار الفني ؛ وذلك لأنه «نظر في أسباب الجودة والرداءة من وجهة نظر منطقية تسخر مبادئ العقل لصالح الأدب، وهو بذلك أول من دعا إلى علمنة الأدب بصراحة ووضوح، ومنذ مطلع كتابه (نقد الشعر)» [٣]. فهو «يجيز الفُحش والرفْث في الشعر؛ لأن الهجاء فن من فنون الشعر يتناول تصوير الجوانب السالبة، ولا يتوجب على الشاعر إذا شرع في غرض من أغراض الشعر إلا أن يتوخى البلوغ إلى النهاية المطلوبة في التجويد»[٤]، وقريب من هذا رأي الدكتور طه أحمد ابراهيم: «أن مناقضة الشاعر نفسه في قصيدتين أو كلمتين بأن يصف حسنا، ثم يذمه بعد ذلك ذما حسنا أيضا، غير منكر عليه ولا معيب فعله، إذا أحسن المدح او الذم»[٥] . المهم في ذلك كله أن يحقق السمة الفنية فهي قوام الأدب، وهي نظرة تقترب جدا من نظرية الفن للفن .

ومن أكثر ادلة أصحاب الاتجاه الفني رواجا وتكرارا رأي الجرجاني(٣٦٦هـ) «**(لو كانت الدّيانة عارًا على الشّاعر، وكان سوء الاعتقاد سبباً لتأخير الشّاعر لوجب أن يُمحى اسم أبي نواس...**» فالدكتور احسان عباس مثلا يورد النص كاملا ويعلق عليه بما يؤكد حتمية الفصل بين النقد والاخلاق والدين بوصفها مسألة قديمة فيقول : «فمعلوم ان الفصل بين الدين والشعر موجود من عهد بعيد في تاريخ النقد العربي لكن الجرجاني وضعه بشكل واضح لا يحتمل لبسا»[٦] ، ويرى الدكتور محمد مندور ان رأى الجرجاني هذا رأي جلي يقضي إلى فصل الدّين عن الشّعر ونقده وهو مثار استغراب عند مندور لفرط جراءته ، فكيف لقاض شافعي في هذه المرحلة المتقدمة من عمر الاسلام أن يصرح بهذا الانفصام التام بين الدين ونقد الشعر!!! : «وهذا قول يدهشنا من قاضي القضاة الشّافعي الرّاسخ القدم في الإسلام، وها نحن اليوم قد لا يستطيع أحدنا

(١) الأسس الجمالية في النقد الأدبي، ١٨٣ ـ ١٨٤ .
(٢) النقد الأخلاقي، ٣٧ .
(٣) نظرية المعنى في الفكر النقدي عند العرب من الممارسة إلى التنظير-عبد الفتاح جحيش- اطروحة دكتوراه-جامعة الإخوة منتوري قسنطينة- كلية الآداب- الجزائر -١٣٢ .
(٤) نظرية النقد الأدبي وتطورها - ص ١٩ .
(٥) تاريخ النقد الأدبي عند العرب في العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري،- طه أحمد إبراهيم - دار الحكمة، بيروت، ٢٠٠٤ – ١٣٢ .
(٦) تاريخ النقد الأدبي عند العرب – احسان عباس - ١٧م. .

أن يجهر برأي كهذا»[١]. وتحت كلام القاضي الجرجاني يعلق عز الدين إسماعيل على نحو ما علق مندور: «فعزل الدّين عن الشّعر، ووقوفه خارجه، منع النّقاد من أي حكم نقدي يرفع شعراً لِما فيه من نزعة دينية، أو يخفضه لوقوفه موقفاً يبدو مضاداً لها»[٢].

ويرى أن النصوص التراثية ومنها نص الجرجاني هذا - التي تؤسس للنظرية الانفصالية - تقترب من المنظور النقدي الحديث، فالنظرة القديمة للقصيدة ترى فيها أنها ضرب من الصناعة، وانّ التجربة غاية في ذاتها، وانّ قيمتها الشعرية مخبأة فيها، وانّ وجود القيم يقلل من هذه القيمة الشعرية «والدين بمعزل عن الشعر عند الجرجاني ...» فهو نص لا يقبل المواربة يقضي بعزل الدين و المعايير الاخلاقية في الحكم على الشعر والشعراء[٣]، بل هو عند عبده قلقيلة نص يمثل «خلاصة دقيقة لما بلغه النقد عند العرب من نحرر»[٤]، ويعضد هذه الرؤية باحث آخر قائلا : «ولم يعد للمعيار الاخلاقي دور في الحكم على الشعر .. خاصة أولئك الذين طعنوا في شعرية المتنبي من المنظور الديني»[٥] .

ويعلق ناقد آخر مستأنسا برأي الجرجاني ومؤيدا لنظرته، ومؤكدا انفصال المعيار الأخلاقي عن الحكم النقدي «ان الشاعر كالمقاتل يتاح له من وسائل متعددة لا تباح في غير القتال من أجل إهداء النصر إلى من ينتظرونه»[٦] فالصلة بين النقد والأخلاق هي من القضايا التي تناولها النقاد العرب منذ أمد بعيد ولهم فيها مواقف واضحة على حد تعبير (السمره). «فالمعروف أن الثعالبي والقاضي الجرجاني كانا يؤمنان بالفصل بين الأدب والدين عند الحكم نقديا على النص (الشعري)؛ لأن الأدب في نظرهما غير الدين، وإذا ورد في الأدب سوء اعتقاد أو ما يعارض الدين فإن هذا لا يضير الأدب ولا يحط من قيمته الفنية، فيما يتولى الله عقاب المذنب» [٧] .

ويتابع حسين الاسود النقاد الذي يؤكدون نظرية الانفصال هذه بقراءته لنقد أبي هلال العسكري(ت ٣٩٥ هـ) من خلال موقفه من المعنى، وهو موقف بعيد عن علاقة الاخلاق

(١) النقد المنهجي عند العرب - محمد مندور- نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع - ١٩٩٦ - ٢٧٥ .
(٢) الأسس الجمالية في النقد العربي ٤٥ .
(٣) ينظر: الأسس الجمالية في النقد العربي- ٣٢ .
(٤) القاضي الجرجاني والنقد الأدبي- د عبده قلقيلة ص ٣٠٠ .
(٥) الاتجاه الاخلاقي في النقد العربي - محمد بن المريسي الحارثي- مطبوعات النادي الأدبي بمكة- ١٩٨٩م - ١٢٢ .
(٦) قراءة تحليلية في كتاب المبالغة في شعر ابي الطيب المتنبي – ربيع عبد العزيز – محمد صلاح زيد –موقع صحيفة الوطن الجزائرية – ٢٠١٣/١/١٥ .
(٧) القاضي الجرجاني، الأديب الناقد، محمود السمرة -١٦٠-١٦٩.

بالشعر ونقده، غير ان (الاسود) يرى ان نص العسكري يقضي بإقصاء الاخلاق عن ميدان النقد، فيورد قول ابي هلال ثم يعلق عليه: «وليس الشأنُ في إيراد المعاني، لأن المعاني يعرفها العربيُّ والعجميُّ، والقرويُّ والبدويُّ، وإنما هو في جودة اللفظ وصفائه، وحُسنه ونزاهته ونقائه، وكثرة طلاوته ومائه، مع صحة السبك والتراكيب، والخلوّ من أَوَدِ النظم والتأليف، وليس يُطلب من المعنى إلا أن يكون صوابًا»[١]، فيعقب الاسود : ولعل العبارة الأخيرة في نص العسكري «(وليس يُطلب من المعنى الا أن يكون صوابا)» «تنم على مدى تعلُّقه وتعلُّق النُّقاد بظاهر الكلام وفَنِّيته، إذ الشأن في جودة اللفظ وصحة السبك، وليس يُطلب من المعنى إلا أن يكون صوابًا، وليس يهم بعد ذلك أكان خيراً أم شرًا أو كان جيدًا أم سيئًا ...فكان من الطبيعي بعد ذلك ألا ينظرَ النقدُ القديم في الأدب أو الفكر أو الفلسفة أو الأخلاق.؟!» [٢].

وموقف النقاد المعاصرين من اصحاب هذا الاتجاه يتلخص بمنظور زكي نجيب محمود الذي يستقري النقد القديم كله في كتابه (مع الشعراء) ليقرر من خلال علاقة الاخلاق بالشعر ونقده : «إن الشعر يظل شعراً، سواء رضيت عنه مبادئ الأخلاق أم لم ترْض، مادام حقق لنا ما تقتضيه طبيعة فنه. فلا فرق عند الفن أن يصور الشاعر فضيلة، أو أن يصور رذيلة، طالما هو أجاد الفن في كلتا الحالتين، ان دنيا الشعر ترحب بأبي نواس ترحيبها بزهير. وإن ملتون في فردوسه المفقود لشاعر في الجانب الإلهي من قصيدته، كما هو شاعر في جانب تصويره الشيطان»[٣].

أي أن الوظيفة الأخلاقية للشعر ليست مما يتقوم به الشعر. فالشعر شيء والأخلاق شيء آخر. فإذا كانت مهمة «الأخلاق هي ان تقوم المعوج من سلوكنا، ومهمة الفنون - ومنها الشعر - هي أن تفسر سلوكنا لا أن تقومه» فان هذا يوضح أن الشعر والأخلاق يسلكان دربين مختلفين. ولو «أراد فن الشعر أن يكون رسالة أخلاقية، ضاع منا الفن والأخلاق معا»[٤].

تعرض النقد الذي يتبنى المعيار الفني فقط لاعتراضات كثيرة ليس على مستوى النقد العربي فقط، وانما على مستوى النقد العالمي أيضا، فمنذ زمن اليونان إلى الآن هناك نوع من الارتهان للمعيار الأخلاقي، فتولستوي مثلا يرى أن النقد «لا يمكن ممارستُه إلا عندما يلبي الحاجات غيرَ الفنية ، ... ولما كانت أوجهُ

(١) كتاب الصناعتين: الحسن بن عبد الله، أبو هلال العسكري ، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧١ هـ - ٥٨ .

(٢) القيم الدينية في ميزان النقد العربي القديم - أ. حسين الأسود- ٨٢٢ .

(٣) مع الشعراء ، زكى محمود نجيب: - دار الشروق - ط٤ - القاهرة ١٩٨٨ - ١٥١ .

(٤) مع الشعراء- ١٥٢ .

النشاط هذه تحتاج إلى الأخلاق، فلا بد أن يكون الفن مَدينا لها؛ فالفن ينتفع من الأخلاق، وبالتالي، فإن عليه التزاماتٍ لها»[١] . فالناقد لا يستطيع «أن يتجنب استخدام بعض الافكار القيمة ومنها الاخلاق في صياغة المعيار النقدي الذي يتخذه في تقويم النتاج الأدبي .. فالمعيار الاخلاقي يظل يحتل مكانة متميزة في صياغة نظرية النقد الأدبي العربي القديم «[٢] فوظيفة الناقد في الآداب كلها تكمن في تطبيق واستخدام لآرائه في القيمة .. أما تجنبه للاعتبارات الخلقية فهو تخلٍّ عن وظيفته»[٣] .

ثم أن الاتجاه الفني في الدراسات العربية بنى احكامه على نصوص جزئية قليلة كما ونوعا، وهي قابلة لشتى التأويلات، ولم تكن قطعية الدلالة فقول القاضي الجرجاني الذي احتج اكثر النقاد به نفاه المعيار الاخلاقي بمقولته «فلو كانت الديانة عاراً على الشعر، لوجب أن يمحى اسم أبي نواس من الدواوين، ويحذف ذكره إذا عدت الطبقات، ولكان أولاهم بذلك أهل الجاهلية وممن تشهد الأمة عليه بالكفر».

هذا الرأي يقابله رأي مضاد يوضحه و يقر بالمعيار الاخلاقي فيها «ولسنا نذهب فيما نذكره مذهب الاحتجاج والتحسين ولا نقصد به قصد العذر والتسويغ، وإنما نقول أنه عيب مشترك، وذنب مقتسم، فإن احتمل فللكل وإن رد فعلى الجميع»، فموقف القاضي الجرجاني هنا شبيه بموقف الصولي، فكلاهما يدافع عن شاعر أمام خصوم جاروا عليه ، فالذين انتقصوا من المتنبي إنما استندوا إلى أبيات معدودة، وجدوا ما يدل فيها على ضعف عقيدته، وتركوا شعراء آخرين وقعوا فيما وقع به المتنبي، ولم يرض الجرجاني عدلا في هذا التعميم، وأنه لم يسوغ الانحراف ومصادمة العقيدة، ولا قبول الشعر الذي يركن الى ذلك ،فهو يعقب على قوله السابق. وواضح جدا أن القاضي الجرجاني يحسب ضعف العقيدة ذنبا وعيبا.

ثم أن نقادا كبارا كعبد القاهر لجأوا في نقدهم للمعيار الاخلاقي، فقد اعترض على المتنبي من وجهة نظر اخلاقية حينما قال:

يترَشَّفْنَ مِنْ فَمِي رشَفَاتٍ
هُنّ فيهِ أحْلى مِنَ التوحيدِ

إذ قال عبد القاهر في تعليقه على بيت المتنبي «وأبعد ما يكون الشّاعر عن التّوفيق إذا دعته شهوة الإغراب إلى أن يستعير للهزل والعبث من الجدّ، ويتغزّل بهذا الجنس»[٤].

(١) انتقال النظريات - إدوارد سعيد -ترجمة اسعد رزق -مجلة الكرمل -مؤسسة بيسان ع٩٤-لسنة ١٩٨٣-٤٣ .

(٢) المعيار الاخلاقي في نقد الشعر العربي - عباس ثابت محمود ص ٣٦ .

(٣) مبادئ النقد الادبي -أ.أ رتشاردز- ترجمة مصطفى بدوي- المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر- مصر -ص١٩٦١ .

(٤) أسرار البلاغة - عبد القاهر الجرجاني - تحقيق محمود محمد شاكر- دار المدني جده- ط١، ص ٢٠٣.

وافق الآمدي (ت ٣٧١ هـ) نقاد عصره والذين سبقوه الرّأي في الاحتكام للمعيار الأخلاقي حين ذكر في كتابه (الموازنة) أبياتاً للبحتري وعلّق عليها بقوله: «وقد كان قوم من الرّواة يقولون: أجود الشّعر أكذبه، لا والله ما أجوده إلا أصدقه، إذا كان له من يخلصه هذا التّخليص ويورده هذا الإيراد على حقيقة الباب»[١]. فيجب أن توضع هذه النصوص في مقابل النصوص التي يوهم ظاهرها بإقصاء النقد الاخلاقي ، وينظر في سياقها الذي قيلت فيه وتستحضر اسبابها وبواعثها، فسنجد حينئذ انها قيلت في سياق موقف الدفاع عن الشاعر اتجاه خصومه من النقاد، واتهام بعض الشعراء بالزندقة والخروج عن جادة الاسلام، وهذه الحالة من جمع المتعارض من النصوص يؤسس لنظرية نقدية متكاملة الاركان .

غير أن أتباع الاتجاه الفني لا يرون في هذه النصوص تعارضا ولا تراجعا عن موقفهم الأول القاضي بفصل النقد عن الأخلاق إنما حصل ذلك ؛ لتوافر أسباب خارجية غير فنية أو نقدية مثل ما حصل مع ابن طباطبا الذي غيَّر قناعته في ما بدا من شذرات قليلة يلمحها القارئ في كتبه تؤكد تحكيم النقد الاخلاقي، فـ (الطاهر حليس) يرى ان سبب وجود هذه الشذرات في كتاب ابن طباطبا انما تعود إلى أنه «كان علويا، اتجاهه المذهبي يدفع به إلى ذلك دفعا حتى يحصّن نفسه من الفلسفة و التيارات القوية التي تزامنت مع الصراعات المذهبية التي بلغت أشدّها في عصره»[٢].

غير ان هذا التسويغ علاوة على اساءته لابن طباطبا فأنه غير منطقي لأن : «المقوم الأخلاقي يأخذ من ابن طباطبا حيزا كبيرا، كما هو واقع النقد الذي سبقه مشيرا إلى أن العرب قد بنوا مدحهم وهجاءهم على مُثُلٍ أخلاقية معينة و خصال محمودة» [٣] وكلام حليس اتهام صريح لقامة كبيرة من قامات النقد بالنفاق والجبن.

ثم أن مقولة الاصمعي التي اتخذت دليلا للفصل بين الاخلاق والدين والحكم النقدي عند أصحاب الاتجاه الفني لهي دليل غير مكتمل الاركان عند جابر عصفور الذي رأى ان المعيار الاخلاقي بقي مسيطرا حتى في ظل مقولة الاصمعي ذائعة الصيت والتي اغتر بظاهرها كثير من المحدثين فيقول : «وبذلك فإنه لا يمكن إدماج محاولة الأصمعي ضمن تلك المحاولات؛ لأنه لم يرد إبعاد المعيار الأخلاقي بقدر ما أراد إقامة حد فاصل بين

(١) الموازنة -الآمدي- تحقيق السيد أحمد صقر- دار المعارف بمصر- ١٩٩٢ ص ٩٩ .

(٢) اتجاهات النقد العربي و قضاياه في القرن الرابع الهجري و مدى تأثرها بالقرآن - الطاهر حليس - منشورات جامعة باتنة - الجزائر- ١٩٨٦-٣٣٩ .

(٣) مقومات عمود الشعر الأسلوبية في النظرية والتطبيق-رحمن غركان -منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق- ٢٠٠٤ - ٧٦ .

الشعر والأخلاق»[١]، فلا تعارض بين الفن والاخلاق، «فاجتماع الغايتين ليس جمعاً بين متناقضين، وإذا أخلص الأديب بفنه فإن ذلك يقوده إلى تقديس الجمال في كل شيء وفي كل صورة، ولا شيء أجمل من الحقيقة لطلاب الحقيقة، ولا شيء أجمل من السعادة لطلاب السعادة»[٢] وأخيرا فأن أكثر ما قاله أنصار الاتجاه الفني في قضية الاخلاق والنقد لم يكن نابعا من دراسة عميقة ورؤية مستقلة بل أكثره ترديد لآراء الأوربيين في ما قيل من نظريات في الجمال والفن [٣] .

المبحث الثاني

الاتجاه الشمولي (الفني والاخلاقي)

الاتجاه الشمولي (الفني والاخلاقي): هو اتجاه نقدي قرأ النقد العربي القديم ،وموقف نقاده من قضية الاخلاق، فوجد أن النقاد القدامى قدموا المقياس الفني على المقاييس الأخرى، لكنهم سمحوا للمعيار الاخلاقي - على استحياء- بان يأخذ دوره في الحكم، متخذين من النظرة الفنية والاخلاقية معيارا للحكم والتقييم، فكان نقدهم للنصوص نقدا شموليا أو نقدا فنيا واخلاقيا بالمعنى الدقيق. ويضربون لمذهبهم هذا أدلة نظرية وتطبيقية باستقرائهم كتب التراث النقدي التي تؤكد سيادة المعيار الفني على سواه، بيد أن هذه الأدلة لا تتقاطع مع وجود اتجاه اخلاقي في الممارسة النقدية، فالنقاد القدماء ركنوا الى هذا المعيار الاخلاقي حينا على مستوى التطبيق مع أن الغلبة كانت تحتكم الى المعيار الفني مع تفاوت بين ناقد وآخر، فالنقاد القدامى «لم يتفقوا على تحديد معيار ثابت لتعيين وظيفة الشعر، وهذا راجع لتفاوت ثقافاتهم وامزجتهم واجتهاداتهم في فهم الشعر»[٤].

وبذلك فأن انصار هذا الاتجاه الشمولي يصدرون عن نظرتين، الأولى: تلتقي مع الاتجاه الفني الذي يرى أن معايير الناقد القديم معايير فنية محضة، ونظرة ثانية: تلتقي مع الاتجاه الاخلاقي. الذي يرى أن الناقد القديم لم ينفك عن الأحكام الأخلاقية في عموم نقده خلا بعض المواقف التي لا تشكل قاعدة ثابتة، وعلى وفق هذه الرؤية الشمولية فأن مذهب أصحاب هذا الاتجاه الشمولي

(١) مفهوم الشعر- دراسة في التراث النقدي- د. جابر عصفور دار التنوير، بيروت- لبنان، ط٣، ١٩٨٣م، ص ١٠٣ .

(٢) قضايا النقد الأدبي، بدوي طبانه: - ٥٨ ـ وينظر: دراسات في النقد الأدبي الحديث ، محمد عبد المنعم خفاجي ١٥٤.

(٣) ينظر: المعيار الأخلاقي في نقد الشعر العربي - عباس ثابت حمود ص ٨٢ .

(٤) المعيار الاخلاقي في نقد الشعر- د عباس ثابت حمود- ص ٣٩ .

يقف موقفاً وسطاً، بين الاتجاهين الفني والاخلاقي وكأنه يرى «أنّ الالتزام بغايات الحق والخير لا يتعارض مع الجمال الذي تحقّقه الفنية، فاجتماع الغايتين ليس جمعاً بين متناقضين، وإذا أخلص الأديب بفنه فإنّ ذلك يقوده إلى تقديس الجمال في كل شيء وفي كل صورة، ولا شيء أجمل من الحقيقة لطلاب الحقيقة، ولا شيء أجمل من السعادة لطلاب السعادة»[١]، وهذا الاتجاه ليس محدثا أو مبتكرا بل «أن جذوره التاريخية ترتبط ارتباطا مباشرا بما أثاره هاروس من أن الشعر يتضمن الفائدة والامتاع»[٢].

ويمثل هذا الرأي محمد غنيمي هلال وإحسان عباس ومحمد النويهي وداود سلوم وبهجت الحديثي وبدوي طبانه ومحمد عبد المنعم خفاجي وجابر عصفور وآخرون ، فغنيمي مثلا يقف موقفين متباينين من مقولات التراث، موقف أول يؤيد فيه أن الشعر لا صلة له بالأخلاق «ينبغي ألاّ ينكر على الشاعر أنْ يصف شيئاً وصفاً حسناً، ثم يذمه بعد ذلك ذماً بيّناً، بل يدل ذلك على اقتدار الشاعر وقوّته في صناعته. فليست للشعر صلة بالقيم الخلقية، كما لا صلة له بالصدق»[٣] .

ثم يقول في غير موضع من كتابه في رأيه عن التخييل والصدق عند النقاد العرب: «. ثم يسندون إلى بعض القدماء - قدماء اليونان- أنّه قال: أحسن الشعر أكذبه، بل يسندون هذا القول أحياناً إلى أرسطو، وهو ما لا أساس له من الصحة، فالصدق الفني والواقعي دعامة الخلق وبدونه لا يوجد فن يعتد به، وهذا رأي فلاسفة الفن جميعاً، في كل عصر وكل مذهب»[٤]. وموقف غنيمي هذا لا يمثل تناقضا وترددا بقدر ما يعكس قراءتين للتراث النقدي الاولى تمثل اتجاها فنيا والثانية اخلاقياً.

ويبدي إحسان عباس موقفين من خلال قراءته لمقولة الاصمعي، فالأصمعي عنده أول من كتب في هذا الباب وفصل فيه بين الدّين من جهة والشعر ونقده من جهة ثانية، فلم تنضج هذه الفكرة إلا عند الأصمعي في نظر الدكتور إحسان عباس[٥]، الذي أكد في تعليق له على مقولة الاصمعي: «ان الليونة والانحياز إلى الخير مضادان للفحولة»، ويضيف قائلا: «الأصمعي في هذا النص قصر مجال الشعر على الشؤون الدنيوية التي كانت سائدة في الجاهلية وحدد موضوعاته التي تصلح له ويصلح لها»[٦]، لكنه يعود ويقول: «إن

(١) قضايا النقد الأدبي د. بدوي طبانه: ، ص ٥٨ ـ ٥٩. دراسات في النقد الأدبي الحديث ومذاهبه - ١٥٤ ـ ١٥٥.
(٢) المعيار الاخلاقي- ص ٨٥ .
(٣) النقد الأدبي الحديث ، محمد غنيمي هلال، دار العودة ، بيروت، ١٩٨٧- ٢٢٩ .
(٤) المصدر نفسه الصفحة نفسها .
(٥) ينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، إحسان عباس: دار الثقافة ، بيروت لبنان ،ط ٤ ١٩٨٣ – ١٧ .
(٦) تاريخ النقد الادبي- احسان عباس – ٥٠ .

العلاقة بين الفن والأخلاق قائمة في عدة مواطن ...فالصراع بين الفن والاخلاق لا وجود إذ ليست الاخلاق طرفا في النزاع؛ لأن الفن منسجم مع الأخلاق»[١] .

أما الدكتور داود سلوم فعلى الرغم من أنه يرى ان ثمة نقادا كثيرين رفضوا ادخال النظرة الاخلاقية في الحكم على النصوص في تعليقه على منهج الاصمعي النقدي «اذا لم يأخذوا في كثير من الجد دين الشعراء من المسيحيين واليهود عند اصدار الحكم»[٢]، غير أنه يعود مرة أخرى ويقول: ان النقاد القدماء ومنهم الاصمعي «وقفوا موقفا خاصا هذا اذا ما كان ضد الوضع القائم آنذاك؛ لذلك فقد سلب الفحولة عن السيد الحميري بسبب عقيدته قال عنه: (قبحه الله ما أسلكه بطريق الفحول لولا مذهبه)، ومرة أخرى عزا ذلك لسبه للسلف»[٣].

ومن صور هذا الاتجاه الشمولي صاحب النظرتين على المستوى التطبيقي موقف الدكتور محمد النويهي في دراسته لبشار بن برد، وللتجاوزات في شعره من خلال نقد القدماء فالنويهي في بواكير حياته في التأليف، وفي سياق حكمه على رائية بشار في الطبعة الأولى من كتابه ، يقول «الفن-رضينا بهذا أم لم نرض-لا يحكم عليه في مجال النقد الأدبي بمقاييس الأخلاق، بل المقياس الصحيح الوحيد، في مجال النقد الأدبي، هو المقياس الفني المحض، هل يرضي شعورنا الفني أو لا يرضيه»[٤]. ويعلق على نص قدامة في قضية الصدق الفني والاخلاقي فيقرر «أن غاية ما يطلب من الشاعر أن يكون صادقا في فنه، فإن أحسسنا إزاء القصيدة بنفور ذوقنا الجمالي-لا إحساسنا الديني أو الخلقي-فإننا نرفضها، ويكون رفضنا هذا رفضا فنيا»[٥].

بيد أنه يعدل عن موقفه هذا في طبعة منقحة للكتاب نفسه في حالة من تصحيح الرؤية، فيقول: أقر بأنها «قصيدة تامة الشناعة الخلقية، يفخر قائلها بارتكابه جريمة لا نستطيع قبولها، ولا نجد لها مبررا واحدا...»[٦]، وكأنه يحاكمها محاكمة اخلاقية «إننا لا نستطيع أن ننفيَ المسؤولية الأخلاقية للفنان بتلك السهولة التي فعلتُها سابقا»[٧].

والحق ان هذه النظرة الشمولية التي تجمع بين الاتجاهين الاخلاقي والفني، المزاوجة المزدوجة بين الفنية الخلقية لم تكن وليدة

(١) ينظر: فن الشعر - د إحسان عباس - دار بيروت - بيروت -لبنان- ط٣- ١٩٦٩ص ١٧٩ .
(٢) النقد العربي القديم بين الاستقراء و التأليف - الدكتور داود سلّوم - الناشر مكتبة الاندلس - بغداد -٢٠٢ .
(٣) المصدر نفسه الصفحة نفسها .
(٤) شخصية بشار - د محمد النويهي- مكتبة النهضة المصرية - ط١- ١٩٥١- ١٩٢ .
(٥) المصدر نفسه - ١٩٣ .
(٦) شخصية بشار - ط٣ - ١٩٩ .
(٧) المصدر نفسه الصفحة نفسها .

النقد الحديث، وليست هي من صنيع الدارسين المعاصرين، فهذا الاصمعي يقول «طريق الشّعر إذا أدخلته في باب الخير لان»[١] وعند التّطبيق فأنه يتحرّج من رواية شعر فيه ذكر للأنواء، لأنّ النبي -ﷺ- قال: «إذا ذُكرت النّجوم فأمسكوا ... وكان لا يُفسّر ولا يُنشد شعراً فيه هجاء، وكان لا يفسّر شعراً يوافق تفسيره شيئاً من القرآن»[٢].

وموقف الاصمعي يتأرجح بين الاتجاهين الفني والاخلاقي فهو نظرياً يرى أنّ الشّعر يضعف إذا دخل من باب الدّين والخير، حتّى إذا انتقل الى الممارسة التطبيقية نفر من كل شعر يخرج عن مبادئ الدّين والقيم والاخلاق، وفي هذا دلالة واضحة على اهتمام الأصمعي عند التّطبيق بالجانب الدّيني والأخلاقي في العمل الأدبي، وربما أتى اهتمامه على حساب الجانب الفنّي[٣].

فالأصمعي إذن ازدوجت عنده الاحكام وتضاربت في التوفيق بين المعيار الاخلاقي والمعيار الفني بحسب رأي الدكتور عباس ثابت حمود « ففي مجمل أحكامه يبدو أن تأثره بالشعر الجاهلي الذي كان رائدا جعله يستبعد المعيار الديني من نظرته النقدية، فلبيد على سبيل التمثيل ليس من الفحول لأنه كان رجلا صالحا، ولكنه مع ذلك يوظف عمله بالشعر الجاهلي لفهم ما استعجم من ألفاظ القرآن الكريم لتدبر آياته وفهم معانيه» [٤]، غير أن احمد أمين لا يعد سلوك الاصمعي النقدي هذا من الازدواج في المنهج النقدي والرؤية الفنية ؛ «لان هذه الرؤية متشكلة اصلا في الفن والحياة، فالفن لا قيمة له في ذاته، إنّما قيمته في أنّه يمدنا باللذة الراقية ومن الحمق أن تَعُدَّ فناناً راقياً من لم يصبغ فنه بالصبغة الخُلقية»[٥].

وخلاصة موقف الاتجاه الشمولي أنه لابدّ من التّركيز على الجانبين: «الفنّي والأخلاقي في الإنتاج الأدبي؛ ليخرج العمل في أروع صوره وأسمى معانيه، يُعجب القرّاء، ويثير مشاعرهم،

(١) طريق الشّعر إذا أدخلته في باب الخير لان ألا ترى حسان بن ثابت كان علا في الجاهلية والإسلام، فلما دخل شعره في باب الخير من مراثي النبي -ﷺ- وحمزة وجعفر - رضوان الله عنهما - وغيرهم لان شعره. وطريق الشّعر هو طريق الفحول مثل امرئ القيس وزهير والنّابغة من صفات الدّيار، والهجاء، والمديح، والتّشبيب بالنّساء، ووصف الخمر، والخيل، والحروب، والافتخار، فإن أدخلته في باب الخير لان» مصدر سابق.

(٢) الكامل - أبو العباس المبرد: - بيروت. بتحقيق د. محمد الدالي - مؤسسة الرسالة. ١٩٨٦ ٣ / ٣٦ .

(٣) ينظر: موقف النقاد من قضية الالتزام الخُلقي في الشعر – ٢٢ .

(٤) المعيار الاخلاقي في نقد الشعر العربي من القرن الثالث حتى نهاية القرن السابع الهجري- عباس ثابت حمود- دار دجلة – عمان الاردن- ط١- ٢٠١١- ص١١٣ .

(٥) النقد الأدبي، أحمد أمين: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة – ٢٠١٢- ٥١ .

ويحرّك فيهم دوافع الخير والحقّ، فلا يجوز التّركيز على الجانب الأخلاقي والإعراض عن الجانب الفنّي، أو التّركيز على الجانب الفنّي، وإهمال جانب الدّين والأخلاق» (١) .

على الرغم من أن هذا الاتجاه يبدو متوازنا وموضوعيا في اطروحاته التنظيرية غير أنه لم يقدم لنا نماذج من النقد القديم تعطي صورة تفصيلية عن مزاولة الناقد القديم للعملية النقدية بصورة شمولية أو تكاملية يحضر فيها النقد الفني والنقد الاخلاقي .

ثم أن أصحاب هذا الاتجاه الشمولي ترددوا في موقفهم من قضية الاخلاق والدين فبعض انصاره يثبتون وجود الاتجاه الاخلاقي، ثم ينكرون وجوده في غير موضع من دراساتهم، فتارة يوافقون أصحاب الاتجاه الفني وتارة أخرى يميلون الى اثبات جذور للنقد الاخلاقي .

على أنَّ نقد هذا الاتجاه الاخلاقي لم يعرف استقرارا على مستوى استعمال المصطلح فأحيانا يطلقون عليه المعيار الأخلاقي أو المعيار الديني وأحيانا هو نقد اخلاقي أو تعليمي، فإحسان عباس مثلا يستعمل أحيانا المعيار الديني وفي احيان أخرى النقد الاخلاقي، وعباس ثابت حمود يستعمل المعيار الاخلاقي والديني ومريم النعيمي تستعمل النقد الاخلاقي والاتجاه الاخلاقي والاتجاه التعليمي كلها بمعنى واحد، ونجوى صابر تذهب الى استعمال مصطلح النقد الاخلاقي في حين يميل محمد الحارثي الى تسمية كتابه بالاتجاه الاخلاقي في النقد القديم.

المبحث الثالث

الاتجاه الاخلاقي المستند الى النظرة الفنية

هذا الاتجاه يتقاطع كليا مع الاتجاه الفني الذي ينكر أن للأخلاق دورا في الحكم النقدي ويختلف عن الاتجاه الثاني (الشمولي) في الترتيب والأولويات فيرى أن الاخلاق هي فيصل الحكم في النقد القديم ثم تأتي بعدها المقاييس الفنية بوصف الناقد القديم لم يتخل عن المعيار الاخلاقي الإ في نطاق محدود ضيق، وما صدر من النقاد القدماء من اقاويل يوهم ظاهرها بإزاحة التقييم الاخلاقي واقصائه فهذا لا يمثل موقفا ثابتا؛ لأنها قيلت في سياقات معينة لها مسوغاتها، وهي لم تتجاوز التنظير لتتحول الى ميدان التطبيق، فلا انفصال بين الاخلاق والادب ونقده مثلما لا انفصال بين الدين والاخلاق وسائر شؤون الحياة، ويقرر هذا الاتجاه أن الترويج لانفصال المعيار الاخلاقي في النقد القديم إنما تسلل إلى افهامنا من القراءة الجزئية لنصوص التراث وبترها عن السياق الذي قيلت فيه، والارتهان

(١) موقف النقاد من قضية الالتزام الخُلقي في الشعر ٢٣- .

الى النظـرة الاسـتشراقية .

ويسـوق الاتجـاه الاخلاقـي أدلـة معتـبرة تدعـم وجهـة نظـره، وخـير مـن يمثـل هـذا الاتجـاه اعضـاء رابطـة الأدب الاسـلامي المعـاصر، وبعـض باحثـي الأدب الاسـلامي، امثـال نجيب الكيـلاني ومحمـد قطـب والندوي وعـماد الدين خليل وسـيد سـيد عبـد الـرزاق ومحمـد بريغش وانـور الجنـدي وغيرهـم كثـير[١]، فمحمـد قطب مثـلا: يـرى أن الرؤية الأخلاقيـة في النقد والأدب لا يمكـن أن تنفصـل عـن الفـن لحظـة مـن اللحظـات، لأنّهـما يصـدران مـن معـين واحـد، وهي النّفس الإنسـانية، إذ يقـول: «فالقيم الخُلقية ليسـت نباتاً منقـولاً إلى النّفس الإنسـانية... فهي ـ إذن ـ جـزء لا يتجـزأ مـن فطـرة الإنسـان، وهـي مـن ثم جـزء لا يتجـزأ من عـالم الفنـون... وكل صيحـة تقـول: إنّ الفـن لا علاقـة لـه بالأخـلاق لأنّـه فـن، أو أن المقاييـس الفنيـة لا علاقـة لهـا بالمقاييـس الأخلاقيـة ، هـي صيحـة تتجافى عن حقيقـة الفطـرة»[٢]... ويستشـهد قطـب بمنهـج ابـن قتيبـة الـذي أخـذ عـلى امـرئ القيـس بعض تصريحـه بالزّنا» والشّـعراء تتوقى ذلك في الشّـعر وإن فعلتـه»[٣]، وفي ذلـك دلالـة واضحـة عـلى الالتـزام الخُلقـي وتفضيلـه.

وأصحـاب هـذا الاتجـاه ينطلقـون مـن مواقـف دفاعيـة تـرد عـلى منكـري الاتجـاه الاخلاقـي في النقـد القديـم؛ مـن أجـل ذلـك فأنهـم يقومـون بقـراءة بعـض النصـوص التراثيـة قـراءة جديـدة كقراءتهـم لنـصي الاصمعـي والقـاضي الجرجـاني[٤] التي استشـهد بهما انصـار الاتجاه الفنـي واتخـذوا منهـما دليـلا لخلو النقـد القديم مـن التقييـم الأخلاقـي .

وهـذا الاتجـاه الاخلاقـي يـرى أولا أن نضـع نصـوص الـتراث في السـياق الـذي قيلـت فيـه فهـي غالبـا جـاءت في سـياق دفـاع النقـاد القدمـاء عمـن تطـرف في الحكم على الشـعراء، فرمـى بعـض الشـعراء بالكفـر والزندقـة، موجها نقـده إلى الشـاعر وليـس إلى شـعره، وأن هـذه الاقاويـل التـي ينفي ظاهرهـا الخضـوع للمعيار الأخلاقـي ولـدت في جـو مـن ردود الفعـل ؛ لذلـك لا يمكـن اتخاذهـا دليلا لانفصـال النظرة الأخلاقيـة عـن النقـد، وهـي أحـكام جزئيـة غير تفصيليـة لا يمكـن الركـون إليها والجـزم بإقصاء الاتجـاه الاخلاقـي مـن الحكـم النقـدي قضيـة محـل نظر وشـك.

(١) رابطـة الادب الاسـلامي المعـاصر: منظمـة أدبيـة إسـلامية عالميـة تأسسـت في العـام ١٤٠٥هـ، تجمـع أدبـاء الإسـلام مـن مشـارق الأرض ومغاربهـا، ونـشر دواوينهـم ورواياتهم وأعمالهم الأدبيـة والفكرية الخالدة وكتاباتهـم ومقالتهـم ودراسـاتهم الأدبيـة والنقديـة وفـق المنهـج الإسـلامي الأصيـل .

(٢) منهج الفن الإسـلامي، محمـد قطب- دار الشروق- بيروت – ط٦ - ١٩٨٣ - ٣٠٥ ـ ٣٠٦ .

(٣) الشـعر والشـعراء -أبـو محمـد عبد الله بن مسـلم بن قتيبـة الدينوري - تحقيـق : أحمد محمد شـاكر- أحمد بن محمد شـاكر - الناشر: دار المعـارف- ١٩٨٢- ٢٠١ .

(٤) سبقت الاشارة اليهما .

ويرى أصحاب هذا الاتجاه أن القراءة غير المتأنية، والانقياد إلى الأحكام الاستشراقية المضللة ونظرتها المتحاملة هي المسؤولة عن تسلل فكرة عزل الدين عن ميدان الأدب ونقده وسائر ميادين الحياة الأخرى، إذ لم «يبتعد تراثنا النقدي عن العقيدة الإسلامية وأن نقادنا الأوائل - وكان فيهم المحدث والقارئ والقاضي - صوروا بتلقائية كاملة وعبروا عن عقيدتهم الإسلامية، واهتموا بتطوير العمل الأدبي في ظل البلاغة القرآنية»[١]، وظل النقد ينطلق من دائرة التصور الإسلامي من دون أن يكون هناك ثمة تعارض بين الأدب والدين، ولم يكن الدرس النقدي معزولا عن القرآن الكريم وعلومه وإعجازه .

ويرى أنصار الاتجاه الاخلاقي أن القول بالفصل بين الشاعر ومعتقده والناقد وحكمه هو فصل شكلي -على مستوى التنظير- ثم هو جاء في سياق موقف دفاعي عن الشاعر اتجاه خصومه من النقاد، واتهامه بالزندقة والخروج عن جادة الاسلام ، كما قيل في المتنبي، لذلك قال القاضي الجرجاني في دفاعه عن المتنبي قولا توهم فيه بعض الباحثين المعاصرين بأن الناقد القديم يرفض المقاييس الاخلاقية في نقده اعتمادا على مقولة الجرجاني : «والعجيب ممن ينتقص أبا الطيب ويغض من شعره لأبيات وجدها تدل على ضعف العقيدة، وفساد المذهب في الديانة... فلو كانت الديانة عاراً على الشعر، لوجب أن يمحى اسم أبي نواس من الدواوين، ويحذف ذكره إذا عدت الطبقات، ولكان أولاهم بذلك أهل الجاهلية وممن تشهد الأمة عليه بالكفر....»[٢] فأصحاب الاتجاه الاخلاقي لا يرون في قول الجرجاني هذا قولا مصادما للعقيدة وليس فيه اقصاء للأخلاق عن الحكم النقدي، فموقف القاضي الجرجاني هنا شبيه بموقف الصولي، فكلاهما يدافع عن شاعر أمام خصوم جاروا عليه، فالذين انتقصوا من المتنبي انما استندوا الى ابيات معدودة، وجدوا ما يدل فيها على ضعف عقيدته، وتركوا شعراء آخرين وقعوا فيما وقع فيه المتنبي، ولم ير الجرجاني عدلا في هذا التعميم، وأنه لم يسوغ الانحراف ومصادمة العقيدة، ولا قبول الشعر الذي يركن الى ذلك، فهو يعقب على قوله السابق «ولسنا نذهب فيما نذكره مذهب الاحتجاج والتحسين ولا نقصد به قصد العذر والتسويغ، وإنما نقول أنه عيب مشترك ، وذنب مقتسم، فإن احتمل فللكل وإن رد فعلى الجميع»[٣] .

وواضح جدا أن القاضي الجرجاني يحسب ضعف العقيدة ذنبا وعيبا، ولكنه يرى أيضاً

(١) مقالات الإسلاميين في الأدب والنقد -أحمد الرافعي شرفي- دار ابن حزم- بيروت -لبنان - ط١- ٢٠٠٩- ٣٥ .

(٢) الوساطة بين المتنبي وخصومه -عبد العزيز الجرجاني -تحقيق :ابو الفضل ابراهيم-دار احياء التراث ط ٣ -٤٢٧ .

(٣) الوساطة - ٤٢٨ .

أن الانصاف يقتضي أن نقول: ان المتنبي ليس بدعا بين الشعراء فهناك غيره ممن جاء في شعره خوارم في العقيدة، ولا يمكن بأي حال من الاحوال ان يفهم من كلام الجرجاني انه قال بفصل الدين عن الحياة والابداع ؛ كما يرى الدكتور محمود السمرة، بحجة «أن الناس أنذاك كانت لا تحتكم الى الدين في سائر شؤونها»[١]، كما يظن متوهما، وليس من العسير علينا أن ندرك السبب الذي جعل الجهر بهذا الرأي دون حرج ، فالحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي كان الادب مرآة لها في هذا العصر تؤكد ايمان القوم بالفصل بين الأدب والدين، ثم يقول: «ولا يخامرنا شك في أن القوم في هذا العصر لم يدهشوا لهذا الرأي الذي يصدر عن قاضي القضاة؛ لأنهم كانوا يمارسونه في حياتهم»[٢].

ويرد أحد الباحثين على السمرة قائلا «ولا أدري كيف أن الناس في تلك الحقبة الاقرب منا إلى عصر الوحي يؤمنون بضرورة الفصل بين الدين وسائر شؤون الحياة، وأغلب المسلمين إلى اليوم لا يرضون أن يكون الدين بعيدا عن معاملاتهم الاقتصادية، وامورهم الاجتماعية، واحكامهم السياسية !!! كيف ذلك ولم يغب تأثير الدين والايمان عن عاداتهم الاجتماعية وسلوكهم وسائر امورهم إلى يومنا هذا؟ ثم كيف لقاضي القضاة وهو - منصب شرعي- ان يقول بفصل الدين عن الآدب والحياة، ويرى في الدين علاقه بين الانسان وربه لا يتجاوزها إلى أن يكون الدين منهج حياة صالحا لكل زمان ومكان كما أرد الله له أن يكون[٣]؟؟؟..»

وتحت هذه الرؤية للأدب والنقد يقول عبد الباسط بدر معلقا على نص الجرجاني وفق قراءته الاسلامية الجديدة بداية «لابد من التنويه بأن القاضي الجرجاني قد ذكر نصه السابق في معرض الدفاع عن شاعرية المتنبي على الرغم مما له من بعض أشعار يشم منها فساد العقيدة؛ لأن فساد العقيدة عند الجرجاني لا ينفي شاعرية الشاعر وبراعته الفنية، ولو كان الأمر كذلك لوجب أن يمحى اسم أبي نواس من الدواوين؛ ذلك لأن أبا نواس يفوق في تجاوزاته العقدية المتنبي»[٤].

كذلك يظهر أن الجرجاني لم يقصد الاعتراف بالشعر الذي يصادم العقيدة، ويتجاوز القيم، وهو المعروف بورعه وتقواه وتدينه، وإنما قصد التمييز بين الشاعر وشعره. فالقاضي الجرجاني في نصه المذكور آنفا: « يفرق بين القدرة على إبداع الشعر- بل والتفوق فيه- وعقيدة الشاعر، وأنه يقصد إلى أن الحكم على براعة الشاعر

(١) القاضي الجرجاني الاديب الناقد -د. محمد السمرة - المكتب التجاري بيروت الطبعة الثانية - ١٩٧٩ -١٦٠ .

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٣) ينظر: أصول النقد من المنظور الاسلامي - حسن سالم هندي - ١٣ .

(٤) مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي- عبد الباسط بدر- دار المنارة، السعودية- جدة، ط١، ١٩٨٥- ١٤٠ .

وموهبته يتجرد عن كل القيم غير الفنية ولا يأخذ في الاعتبار ملته ومذهبه. وهذه حقيقة لا جدال فيها. فهناك شعراء مبدعون في جميع الديانات والمذاهب وهناك شعراء مقصرون... وليس ثمة ارتباط بين معتقد الشاعر وموهبته، فالموهبة ملكة موزعة في أبناء آدم على اختلاف ألوانهم وأجناسهم ولغاتهم ومعتقداتهم» [١].

ويفند اصحاب الاتجاه الاخلاقي بعض النصوص التراثية التي تؤيد ضعف الشعر بمجيء الاسلام، ويفندون معها آراء الدارسات الحديثة التي اغترت بظاهر بعض النصوص النقدية- بحسب رأيهم- وقالت ان الشعر ضعف ولان بظهور الاسلام[٢]، ومن هذه النصوص القديمة رأي ابن سلام وابن خلدون في الشعر زمن ظهور الاسلام:» فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم، ولهت عن الشعر وروايته. ...»[٣]. وأما ابن خلدون فيقارن بين ازدهار الشعر في الجاهلية وفتوره في صدر الإسلام فيقول: «ثم انصرف العرب عن ذلك أول الإسلام بما شغلهم من امر الدين والنبوة والوحي وما ادهشهم من أسلوب القرآن ونظمه فأخرسوا عن ذلك وسكتوا عن الخوض في النظم والنثر»[٤]. ومن الذين ينفون ضعف الشعر بظهور الاسلام الدكتور صالح آدم بيلو في كتابه (من قضايا

---

(١) المصدر نفسه – ١٤١ .

(٢) اكثر أصحاب الاتجاه النقد الفني يقولون هذا منهم: جرجي زيدان أحمد حسن الزيات وزكي مبارك ويحيى الجبوري وغيرهم فيقول الزيات مثلاً: «فليس من شك في أن الشعر ظل على عهد الرسول جاهلياً، وخضعت قريش وسائر العرب للدين الجديد بعد لأي فخرست الألسنة اللاذعة وفرّ الشعر الجاهلي ثانية إلى البادية، وانصرف المسلمون إلى حفظ القرآن ورواية الحديث وجهاد الشرك فخفت صوت الشعر لقلة الدواعي اليه» زكي مبارك حيث يقول: «ونعود فنذكر أن الحملة التي وجهت إلى الشعر على اثر ما كان من لدد شعراء اليهود وتوثب شعراء المشركين أثرت تأثيراً عميقاً في حياة المسلمين من الوجهة الأدبية فرأيناهم يسرفون في بغض الشعر والنيل من الشعراء ثم جرى على السِنة الجماهير أن الشعر لا يليق بالفقهاء والمحدثين. وهذا كله من اثر الحملة التي وجهت إلى الشعر والشعراء». وزعم جرجي زيدان أن الشعر في عصر الراشدين توقف لاشتغال المسلمين عنه بالفتوح. وقال يحيى الجبوري بضعف الشعر في صدر الإسلام ولكنه لم ينسب ذلك = الضعف إلى الإسلام وموقفه من الشعر والشعراء، بل نسبه إلى ظروف الحياة الاجتماعية وما كانت تشهده من ثورة وانتقال حيث قال: «ومن الواضح البديهي أن الشعر في هذا العصر – عصر النبوة – اذا قسته بشعر الفحول الجاهليين أو قسته بشعر الفحول الامويين، تجده دونهما قوة ومتانة فقد ضعف كماً وكيفاً.
ينظر: احمد حسن الزيات، تاريخ الادب العربي /٩٨-٩٩ و الموازنة بين الشعراء - د. زكي مبارك /٣١و تاريخ آداب اللغة العربية - جرجي زيدان،١ /٢٢٢ و الإسلام والشعر -يحيى الجبوري ٣٣ .

(٣) طبقات فحول الشعراء- ابن سلام المحقق: محمود محمد شاكر الناشر: دار المدني ج ٢٥/١ .

(٤) مقدمة ابن خلدون- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون -تحقيق :عبد الله محمد الدرويش- الناشر: دار يعرب ج١ ٦٧٧ .

الأدب الإسلامي) وتحت عنوان: شبهات داحضة واعتراضات مدفوعة، وتناول هذه القضية ايضاً الدكتور عبد الرحيم محمود زلط في كتابه (التأثير النفسي للإسلام في الشعر)، والدكتور سامي مكي العاني في كتابه (الإسلام والشعر)، والدكتور يوسف العظم في كتابه (الشعر والشعراء في القرآن والسنة)، والدكتور سعد أبو الرضا في كتابه (الأدب الإسلامي. قضية وبناء)، والدكتور عودة الله منيع القيسي في كتابه (تجارب في النقد الأدبي التطبيقي)، والدكتور عبد الباسط بدر في الفصل الأخير من كتابه (مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي).

ويرفض أنصار الاتجاه الاخلاقي الاتهام الموجه اليهم بأن معاييرهم النقدية واتجاههم في الكتابة اخلاقية دينية محضة، وان اهتمامهم منصب على المضمون دون الشكل، فيرون ان الارتهان إلى المقاييس الاخلاقية لا يعني اهمال المعيار الفني، وقد انعكس ذلك في تعريفهم للفن فهو عندهم يقوم على الشكل والمضمون وكذا نقده فيعرفون الأدب :» هو التعبير الفني الجمالي عن قضايا الانسان المختلفة برؤية اسلامية صحيحة تهدف الى غايات جمالية وتعبدية وتربوية «[1]. فالغايات الجمالية تمثل عندهم المعيار الفني، ويمثل المعيار الاخلاقي القضايا التعبدية والتربوية فما الاخلاق غير الدين المرتبط بالسلوك.

قدم هذا الاتجاه قراءة جديدة للتراث ازاح بها عن أعيننا غبش بعض القراءات التي ورثناها عن المستشرقين وتلامذتهم، واعاد ثقتنا بالتراث وعزز من مكانة الاتجاه الاخلاقي في النقد والادب غير أن الموضوعية تقتضي أن نقول أن الاتجاه الاخلاقي بقي خاضعا لردود الافعال والتخندق في الموضع الدفاعي، ثم هو لم يصدر عن رؤية واحدة فيما يقول، فمثلا هو يقف من قول الاصمعي موقفين متناقضين فعدنان النحوي يرى في مقالة الاصمعي تجاوزا مريعا فيقول: «إننا لا نختلف مع الاصمعي مجرد اختلاف فحسب في هذا القول ولكننا نرفضه ونبيّن أنه يتناقض كلية مع القواعد التي نصّت عليها أحاديث الرسول ﷺ، والقواعد التي بيّنها القرآن الكريم. فالذين يسميهم الاصمعي فحول الشعراء في شعرهم الجاهلي هم الذين عنتهم الآية الكريمة في سورة الشعراء ممن يتّبعهم الغاوون وممن هم في كل واد يهيمون. إنه شعر يحمل شيئاً مما حرّمه الله ورسوله»[2]. في حين ان عبد الباسط بدر- وكلاهما من اعضاء رابطة الادب الاسلامي- يعتذر ويسوغ للأصمعي ما قاله «ويبدو أنه وجد نفسه أمام شعر حسان الاسلامي في مأزق وهو صاحب عقيدة دينية تشده الى الشعر الذي يرتبط بالدين، ولكنه

(١) ينظر: منهج الفن الاسلامي – محمد قطب – ١٣٤ .

(٢) الادب الإسلامي. انسانيته وعالميته - عدنان النحوي- دار النحوي للنشر والتوزيع ط٢-١٦١ .

ايضاً لغوي وراوية تدرب ذوقه على طابع معين من الشعر فلم يعد يستسيغ غيره، لذلك كان مخرجه الوحيد من مأزقه هو أن يبعد الشعر كله عن طريق الخير» [١].

ويردّ ناقد اسلامي آخر على رأي الاصمعي بقوله: «ونحن لا ننكر ان الاصمعي من الرواة واصحاب الذوق العالي ولكننا لا نقره على هذه المقولة السطحية، لأنه لم يكن من النقاد المتخصصين بتفسير الظواهر الادبية، وان كنت اقرّه على اكتشافه لظاهرة فشل في تفسيرها وهي ظاهرة الفارق الكبير بين شعر حسان في الجاهلية وشعره الإسلامي، فالأصمعي اكتشف الظاهرة الفنية لشعر حسان الإسلامي ولكنه اخطأ وتعسف في التفسير»[٢].اما نجيب الكيلاني فيطرح موقفا توفيقيا من القضية ويرى «ان هذه الأقاويل ولدت في بيئة فكرية غير صحية»[٣]. وأما موقف الصولي فهناك انقسام ايضا في رؤيته، فهناك حالتان حالة من الرفض لهذا النص وحالة من القبول بل والدفاع عن الصولي ونصه، فمأمون فريز جرار من المدافعين عن الصولي والمؤيدين لرؤيته في الفصل بين الشاعر ومعتقده في عملية الحكم : ان «الصولي يريد ان يقرر قواعد عادلة في النظر إلى الشعر تنصف الشاعر وان تكن عقيدته غير صحيحة فالذين ذموا ابا تمام من جهة عقيدته جاروا في الحكم عليه فطعنوا في شعره كله وقلبوا ما كان فيه من الحسن، ولو أنصفوا لميزوا بين الشاعر وشعره فما وجدوا فيه حسناً حسّنوه وما وجدوا فيه من سوء بيّنوه»[٤] وهذا الكلام فيه تناقض فالناقد من دعاة المنهج الإسلامي في عموم كتاباته فكيف يؤيد دعوة الانفصال تلك !!.

ويقف الاتجاه الاخلاقي مواقف متباينة من قضية ضعف الاسلام التي اشار اليها ابن سلام[٥]، فمنهم من رفض هذا الزعم وأوله تأويلا نفى به ضعف الشعر بمجيء الاسلام ومنهم من اقر ابن سلام في مذهبه وذهب مع انصار الاتجاه الفني، ومن هؤلاء النقاد الاستاذ محمد قطب في كتابه (منهج الفن الإسلامي)، والدكتور

(١) مقدمة لنظرية الادب الإسلامي- عبد الباسط بدر /١١٥ .

(٢) مقدمة في نظرية الشعر الإسلامي / مقدمة لنظرية الادب الاسلامي، د. عبد الباسط بدر، دار المنارة – جدة ١٩٨٥-٤٤ .

(٣) الإسلامية والمذاهب الأدبية- د. نجيب الكيلاني مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٩٨٣ـ٢٠.

(٤) مأمون فريز جرار، خصائص القصة الاسلامية /٢٠ .

(٥) يقول ابن سلام يقول عن الشعر: «فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم، ولهت عن الشعر وروايته». واما ابن خلدون فيقارن بين ازدهار الشعر في الجاهلية وفتوره في صدر الإسلام فيقول: «ثم انصرف العرب عن ذلك أول الإسلام بما شغلهم من امر الدين والنبوة والوحي وما ادهشهم من أسلوب القرآن ونظمه فأخرسوا عن ذلك وسكتوا عن الخوض في النظم والنثر زماناً». اشرنا الى النصين سابقا .

عـماد الديـن خليل في كتابه (خطـوات جديدة في النقـد الإسـلامي)، والاسـتاذ حكمـت صالـح في كتابـه (نحـو آفاق شـعر اسـلامي معـاصر)، وهذا دليـل عـلى انقسـام التيـار الاخلاقـي وهـو احـد الاشـكالات التـي نرجـو ان يتجاوزهـا مـع التنبيـه عـلى ان الاختـلاف في الرؤيـة داخـل المنهـج الواحـد لا يمثـل في بعـض الاحيـان تناقضـا بقدر مـا يعكـس ثـراء الرؤيـة وتعددهـا .

❊ ❊ ❊

الخاتمة

تاريـخ الاتجـاه الأخلاقـي في النقد يتصل بنشـأة الأدب وهـي نشـأة ترجـع أصـول الشـعر إلى الطقـوس الدينيـة واناشـيدها.

إن الاحـكام النقديـة كانـت متصلـة بكتـب الاعجـاز القـرآني، لذلـك اُسـتعملت مصطلحاته البيانيـة واسـاليبه الراقيـة وصوره الجميلة مقياسـا للصياغـة الأدبيـة الراقيـة.

إن الاتجـاه الاخلاقـي كان ملازمـا للعمليـة النقديـة في الـتراث النقـدي الغـربي والعـربي ولكـن بنسـب حضـور متفاوتـة، فلـم يكـن هـو المعيـار الوحيـد في النقـد كـما أنـه لم يغـب عن عيـار النقـد مطلقـا .

نمـا الاتجاه الاخلاقي في النقـد في مرحلة صدر الاسـلام والخلافـة الراشـدة واقترن نشـاطه وقوته بقـوة الدولـة الاسـلامية واسـتقرارها، لكـن هـذا الاتجـاه بـدأ بالفتـور مـع الاضطرابـات والفـتن التـي حـدث في مرحلـة لاحقـة فتبـدل ايقـاع الحيـاة وتبدلـت معها اتجاهـات الشـعرية والنقد المرتبـط به، فزادت حـدة غرض الهجـاء وعادت العصبيـة القبليـة الى ميـدان الادب فأحيـا بعـض الشـعراء النعـرات وتقاذفـوا التُهـم بينهـم فأثـرت هـذه عـلى صـور النقـد المصاحـب له.

إن نقادنـا القدمـاء لم يكونـوا عـلى سـمت واحد فيـما أبـدوه مـن آرائهـم ومواقفهـم النقديـة ازاء الشـعر وعلاقتـه بالديـن، و مواقفهـم تتـوزع في

ثلاثة انواع: «مواقف ترفض تجاوزات الشعراء وتفحشهم في الغزل وقد تسقط الشاعر وشعره اذا وجدت في شعره شيئاً من ذلك، ومواقف تترخص في مبالغات الشاعر وتجاوزاته وغزله الفاحش وتفصل في تقويم شعره بين معتقده وفنه ولكنها تدين اعتداءه على العقيدة وقيمها، ومواقف تصنف الشعر في باب الشر وترى أنه لا يصلح للخير ولا يجود فيه.

وقفت الدراسات النقدية الحديثة من قضية الاخلاق في الأدب ونقده القديم مواقف متباينة فهم لا يصدرون عن رؤية واحدة، و اتضح ان للناقد الحديث ثلاثة مواقف وقفها من قضية الاخلاق وعلاقتها بالنقد التي ذكرها النقاد القدامى: موقف أول يرى ان النقد القديم كله نقد فني لا أثر لمقياس كالأخلاق فيه، وهذا هو الاتجاه الفني الخالص، وموقف ثان توفيقي يرى ان المعيار الفني والاخلاقي اجتمعا في تشكيل رؤية الناقد القديم للنصوص الأدبية، وهذا الاتجاه هو الاتجاه الشمولي الفني والاخلاقي، وموقف ثالث يرجح كفة المعيار الاخلاقي في النقد القديم؛ لكنه لا يلغي دور القضايا الفنية ، وهذا هو الاتجاه الاخلاقي المستند الى الاتجاه الفني.

❊ ❊ ❊

المصادر والمراجع

* **القرآن الكريم.**

- **أولاً: الكتب**

• أبو ذؤيب الهذلي ، حياته وشعره ، نورة الشملان ، الناشر عمادة شؤون المكتبات ، جامعة الرياض – الرياض المملكة العربية السعودية (د . ت) .

• اتجاهات الشعري العربي في القرن الثاني هجري – محمد مصطفى هداره- دار العلوم العربية بيروت –ط١- ١٤٠٨-١٩٨٨م .

• اتجاهات النقد العربي وقضاياه في القرن الرابع الهجري و مدى تأثرها بالقرآن - الطاهر حليس – منشورات جامعة باتنة – الجزائر- ١٩٨٦م .

• الاتجاه الاخلاقي في النقد العربي - محمد بن المريسي الحارثي- مطبوعات النادي الأدبي بمكة-١٩٨٩م .

• أثر القرآن الكريم في تطور النقد الأدبي – محمد زغلول سلام- مطبعة المعارف المصرية- القاهرة –الطبعة الأولى .

• أخبار أبي تمام - أبو بكر الصولي- تحقيق محمد عبده عزام وآخران، دار الآفاق الجديدة، بيروت-لبنان، (د.ط)، ١٩٨٠م .

• الادب الإسلامي. انسانيته وعالميته - عدنان النحوي- دار النحوي للنشر والتوزيع ط٢ .

• أسرار البلاغة - عبد القاهر الجرجاني – تحقيق

محمود محمد شاكر – مطبعة المدني – القاهرة – دار المدني جده- ط١.
• أسس الجمالية في النقد العربي (عرض وتفسير ومقارنة)- د:عز الدين إسماعيل - دار الفكر العربي-الطبعة الثالثة- ١٩٧٤م .
• الإسلام والشعر -يحيى الجبوري - دار ابن كثير، ط٢-دمشق-بيروت، ١٩٩٠.
• الإسلامية والمذاهب الأدبية- د. نجيب الكيلاني مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٩٨٣م، صـ٢٠.
• الاغاني – لابي فرج الاصفهاني – تحقي ابراهيم الأبياري- دار الشعب .
• تاريخ آداب اللغة العربية - جرجي زيدان- مطبعة الهلال- مصر- ١٩٥٥م .
• تاريخ الادب العربي - احمد حسن الزيات- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م..
• تاريخ النقد الأدبي عند العرب، إحسان عباس: دار الثقافة ، بيروت لبنان ،ط ٤ ١٩٨٣
• تاريخ النقد الأدبي عند العرب في العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري،- طه أحمد إبراهيم - دار الحكمة، بيروت، ٢٠٠٤م .
• التفكير النقدي عند العرب، مدخل إلى نظرية الأدب العربي -عيسى علي العاكوب ، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، ٢٠٠٠م .
• تهذيب الاثار وتفصيل الثابت عن رسول الله ﷺ من الاخبار – محمد بن جرير الطبري – قرأه وأخرج احاديثه – أبو فهر محمود محمد شاكر- منشورات جامعة الامام محمد بن سعود- الرياض – ١٩٨٢م .
• الثابت والمتحول-بحث في الإبداع والإتباع عند العرب- أدونيس- دار الساقية- لبنان-ط٥
• الثعالبي ناقدا وأديبا –د محمود الجادر –دار الرسالة للطباعة –بغداد- ط١- ١٩٧٦م .
• خزانة الآدب – عبد القادر البغدادي- تحقيق: عبد السلام هارون- مكتبة الخانجي- مصر (د . ت) .
• خصائص القصة الاسلامية : مأمون فريز جرار –دار المنارة للنشر والتوزيع – جدة -الطبعة الاولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م .
• دراسات في النقد الأدبي - أحمد كمال زكى دار الأندلس - ط٢ بيروت يونيو ١٩٨٠م .
• دراسات في النقد الأدبي الحديث ومذاهبه، ومحمد عبد المنعم خفاجي- دار القلم، دمشق، ط٤، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م .
• دراسات نقدية في الشعر العربي- بهجت عبد الغفور الحديثي ، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، جمهورية مصر العربية، ٢٠٠٤م .
• ديوان آمرىء القيس أو الملك الضليل ، تحقيق د. محمد رضا مروة ، دار العالمية ، بيروت – لبنان .
• ديوان كعب بن مالك الانصاري ، دراسة وتحقيق ، سامي مكي العاني ، ساعد جامعة بغداد على نشره ، منشورات مكتبة النهضة – بغداد .
• ديوان المتنبي ، تحقيق وشرح كرم البستاني ،

دار صادر ، بيروت – لبنان .
• ديوان النابغة الجعدي ، جمعه وحققه وشرحه، واضح الصّمد ، دار صادر – بيروت .
• ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط٢، دار المعارف .
• السيرة النبوية-ابن هشام-أبو محمد عبد الملك بن هشام٢١٨هـ تحقيق مصطفى السقا وأخرون- مصطفى البابي الحلبي-١٩٣٦ .
• شخصية بشار – د محمد النويهي- مكتبة النهضة المصرية – ط١- ١٩٥١.
• الشعر في إطار العصر الثوري: د. عز الدين إسماعيل، دار الحداثة، بيروت، ط ٢- ١٩٨٥م .
• الشعر والشعراء -أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري - تحقيق : أحمد محمد شاكر؛ أحمد بن محمد شاكر - الناشر: دار المعارف- ١٩٨٢م .
• صحيح الأدب المفرد - البخاري- تحقق: محمد ناصر الدين الألباني الناشر: دار الصديق للنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م .
• طبقات فحول الشعراء/ محمد بن سلام الجمحي(١٣٩ هـ) قرأه وشرحه أبو فهر محمود محمد شاكر مطبعة المدني. مصر.
• عيون الاخبار – ابن قتيبة – دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٣٠ .
• فن الشعر – د إحسان عباس – دار بيروت – بيروت –لبنان- ط٣- ١٩٦٩م .
• في نقد الشعر - محمود الربيعي: دار المعارف بمصر - ط٤ - القاهرة ١٩٧٧م .
• في نقد الشعر – محمود الربيعي – مكتبة الزهراء ١٩٨٥م .
• القاضي الجرجاني الاديب الناقد –د. محمد السمرة – المكتب التجاري بيروت الطبعة الثانية – ١٩٧٩م .
• القاضي الجرجاني والنقد الأدبي- د عبده قلقيلة-الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة- ١٩٧٣م .
• قضايا النقد الأدبي، بدوي طبانه- دار الصداقة العربية، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.
• الكامل - أبو العباس المبرد: بتحقيق د. محمد الدالي - مؤسسة الرسالة – بيروت - ١٩٨٦م .
• كتاب الصناعتين: الحسن بن عبد الله، أبو هلال العسكري ، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧١ هـ .
• مبادئ النقد الادبي – أ.أ رتشاردز- ترجمة مصطفى بدوي- المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر- مصر .
• مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي - عماد الدين خليل ، دار ابن كثير، دمشق-بيروت، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م .
• المذاهب الأدبية الغربية وليد القصاب – مؤسسة الرسالة –بيروت-لبنان – الطبعة الأولى ٢٠٠٥م .
• مستقبل الثقافة في مصر، طه حسين ، ط١ ، دار النهضة القاهرة (د . ت) .

• مع الشعراء محمود، زكى نجيب: - دار الشروق - ط٤ - القاهرة ١٩٨٨م .
• مفهوم الشعر في التراث النقدي- جابر عصفور ، الطبعة الثالثة، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،.٩٠ - ٤٤٩١ .
• مقالات الإسلاميين في الأدب والنقد -أحمد الرافعي شرفي- دار ابن حزم- بيروت –لبنان - الطبعة الأولى- ٢٠٠٩م .
• مقدمة ابن خلدون- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ولي الدين -تحقيق : عبد الله محمد الدرويش- الناشر: دار يعرب .
• مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي- عبد الباسط بدر- دار المنارة، السعودية- جدة، ط١، ١٩٨٥م .
• المعيار الاخلاقي في نقد الشعر العربي من القرن الثالث حتى نهاية القرن السابع الهجري- عباس ثابت حمود- دار دجلة – عمان الاردن- ط١- ٢٠١١م .
• مقومات عمود الشعر الأسلوبية في النظرية والتطبيق- رحمن غركان ، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق- ٢٠٠٤م .
• المنهج الإسلامي في النقد الأدبي- سيد سيد عبد الرزاق - دار الفكر المعاصر- بيروت، دمشق-الطبعة الأولى ٢٠٠٠م .
• منهج الفن الإسلامي، محمد قطب- دار الشروق- بيروت – ط٦ – ١٩٨٣م .
• الموازنة –الآمدي- تحقيق السيد أحمد صقر- دار المعارف بمصر- ١٩٩٢م .
• الموازنة بين الشعراء - د. زكي مبارك - دار المعارف- الطبعة: الثانية .
• الموشح- أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني- تحقيق: علي محمد البجاوي- دار النهضة بمصر-القاهرة ١٩٦٥م .
• نظرية النقد الأدبي وتطورها إلى عصرنا- محي الدين صبحي- الدار العربية للكتاب –ليبيا – تونس١٩٨٤م .
• النقد، شوقي ضيف - الطبعة الثانية، دار المعارف بمصر، جمهورية مصر العربية،١٩٧٤م.
• النقد الأدبي الحديث- محمد غنيمي هلال: - دار العودة - بيروت – ١٩٨٦م .
• النقد الأدبي، أحمد أمين: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة - ٢٠١٢ م .
• النقد الأخلاقي أصوله وتطبيقاته- نجوى صابر- دار العلوم العربية بيروت- لبنان –الطبعة الأولى ١٩٩٠م .
• النقد الأدبي الحديث ، محمد غنيمي هلال، دار العودة ، بيروت، ١٩٨٧ص ٢٢٩ .
• النقد الأدبي في آثاره واعلامه- حسن الحاج حسن المؤسسة الجامعية للدراسات والتوزيع- بيروت- ١٩٩٦م .
• النقد بين الفن والاخلاق في نهاية القرن الرابع الهجري- مريم النعيمي- الناشر المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث- الدوحة –ط١ -٢٠٠٨م .
• النقد الجمالي وأثره في النقد العربي- روز غريب-دار العلم للملايين- بيروت- ط١ ١٩٥٢م .

• نقد الشعر- قدامة بن جعفر - دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ص-٦٦ .
• النقد العربي القديم بين الاستقراء و التأليف - الدكتور داود سلّوم – الناشر مكتبة الاندلس – بغداد .
• النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة - محمد مندور- نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع – ١٩٩٦م .
• الوساطة بين المتنبي وخصومه – القاضي عبد العزيز الجرجاني –تحقيق :ابو الفضل ابراهيم وعلي البجاوي –دار احياء التراث ط الثالثة .
• وليمة لأعشاب البحر بين قسيم الإسلام وحرية الإبداع - قراءة نقدية -. إبراهيم عوض- دار الفكر العربي/ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .

ثانياً: الرسائل والاطاريح

• المعايير النقدية في كتاب الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، للآمدي - عادل بوديار- رسالة ماجستير- معهد الآداب واللغات – الجزائر- .
• نظرية المعنى في الفكر النقدي عند العرب من الممارسة إلى التنظير-عبد الفتاح جحيش- اطروحة دكتوراه-جامعة الإخوة منتوري قسنطينة- كلية الآداب- الجزائر .

ثالثاً: المجلات و الدوريات

• الاتجاه الأخلاقي في نقد الشعر عند ابن باكثير الحضرمي (ت ٩٧٥هـ)في كتابه تنبيه الأديب على ما في شعر أبي الطيب من الحسن والمعيب- أ.م .د. أنوار سعيد جواد - أ.م .د. بشرى حنون محسن- مجلة آداب المستنصرية العدد ٨٧ - أيلول ٢٠١٩ ص٣٤٥ .
• انتقال النظريات – إدوارد سعيد –ترجمة اسعد رزق –مجلة الكرمل –مؤسسة بيسان ع٩٤- لسنة ١٩٨٣-٤٣ .
• أصول النقد العربي من منظور اسلامي- حسن سالم هندي – مجلة الاستاذ- بغداد- مج١-ع١١- ٢٠١٣م .
• حسان بن ثابت في معايير النقد الأدبي – د . عبد الجبار المطلبي- مجلة المورد- مج ٩- ع ٤- سنة ١٩٨٠م .
• قراءة تحليلية في كتاب المبالغة في شعر ابي الطيب المتنبي – ربيع عبد العزيز – محمد صلاح زيد –موقع صحيفة الوطن الجزائرية – ٢٠١٣/١/١٥م .
• القيم الدينية في ميزان النقد العربي القديم- أ. حسين الأسود- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق- المجلد (٨٢) .

رابعاً: مواقع الشبكة الالكترونية

• إدوارد سعيد بين النقد الديني والنقد العلماني- إسماعيل العثماني .
https://www.aljabriabed.net/n24_10otmani1.htm
• موقف النقاد من قضية الالتزام الخُلقي في الشعر - د. يونس إبراهيم
http://www.ta5atub.com/t820-topic#ix-zz3qLLS4SrUtopic.